

أرض القرابين
أسامة المسلم
ساحر الكتب

الأمنيات ملاذ الحالمين ..

وملجأ الراغبين في تجربة كل غريب وجديد .. لكن ..

ماذا لو كانت تلك الأماني سراباً قد يقودك لشيء لم تكن تتمناه ..

أو تفكر بالسعي خلفه والإصرار على تحقيقه ..؟

أسامة المسلم

ما نؤمن به هو الحبر الذي

سيخط طريقنا ..

وسيرسم لنا مسار حياتنا ..

لنسير عليه حاصدين ثمار إيماننا ..

المغامرون الغُمْر



قبل بداية إجازة منتصف العام بيومٍ واحد دخل (تركي) على زوجته (هدى) ملوحاً بيده القابضة على مجموعة من الأوراق وقال باسماً :

«لقد حصلت على التصاريح!»

تبسمت (هدى) وقالت بنظرة متعجبة : تصاريح؟ .. أي تصاريح؟

جلس (تركي) على الأريكة وسط غرفة المعيشة وأشار لها بالجلوس بجانبه باسطاً الأوراق أمامها : .. «مدائن الدنا» ..

(هدى) بتساؤل : هل هذا مخطط سكني جديد تنوي البناء فيه؟

(تركي) ضاحكاً ورافعاً الأوراق مجدداً بقبضته : مخطط؟! .. لا .. هذا موقع تاريخي مهم جدّاً وكانت الزيارة له محجوبة عن العامة لسنواتٍ طويلة ومؤخراً سُمح بذلك لكن بعد الحصول على إذن مسبق من الجهات الرسمية

(هدى) آخذة الأوراق من يده ملقية نظرة عليها :

«آها فهمت .. رحلة عمل مع الجامعة بحكم تخصصك في التاريخ ..»

(تركي) مخرجاً هاتفه المحمول من جيبه : لم تفهميني .. سأشرح لكِ لاحقاً بعد ما نستعد

(هدى) : نستعد لماذا؟ .. وبمن ستتصل؟

(تركي) واضعاً السماعة عند أذنه : .. (سعود) ..

(هدى) : أخي؟ .. ماذا تريد منه؟

(تركي) متحدثاً على الهاتف : أهلاً بزوج أختي العزيز! .. كيف حالك وحالها؟!

(سعود) من الطرف الآخر : الحمد لله بخير .. كيف حال (هدى) و(حسام)؟

(تركي) : جميعنا بخير .. (حسام) تم قبوله في الجامعة في تخصص نظم المعلومات

(سعود) ضاحكاً : لم يقتنع إذًا بدخول قسم التاريخ معك؟! .. كنت أعرف أن ميوله علمية مثلي ومثل عمته

(تركي) بإحباط : شباب هذه الأيام عنيد وله رأيه الخاص

(سعود) : ابن أختي شاب طموح وذكي وستكون فخوراً به ثم ليس من الضروري أن يسلك طريقك نفسه

(تركي) مبتسماً : كلامك مثل كلام أمه معلمة اللغة العربية

مدت (هدى) يدها وأخذت الهاتف من زوجها وتحدثت مع أخيها قائلة :

«هل ترى كيف يريد التحكم بمستقبل ابني؟!»

(تركي) باسماً : هو ابني أيضاً!

(سعود) ممازحاً : لن يفلت ابنك من تسلطه فسوف يتحكم به بما أنه أستاذ في الجامعة نفسها

(هدى) ضاحكة : لن أسمح له! .. ولماذا تتحدث وكأنك لا تحضر

رسالة الماجستير الخاصة بك في الجامعة نفسها! .. ابني أمانة في عنقك فأنت خاله ويجب أن تحميه من تدخلات أبيه وأفكاره الرجعية!

(سعود) مشاركاً أخته المزاح : رأس زوجكِ أصلب من الآثار الصخرية المفتون بها لكن لا تقلقي سوف أقف سدّاً منيعاً أمامه إذا حاول مضايقة (حسام)!

(هدى) : متيقنة من ذلك يا أخي العزيز .. دعك منهما الآن وطمئني عنك وعن عروسنا (خلود)

(سعود) : جميعنا بأفضل حال .. ثم عن أي عروس تتحدثين؟ .. لقد مضى على زواجنا ستة أشهر

(هدى) : وستبقى عروسًا مشرقة ما دامت سعيدة معك ولم تعكر مزاجها أو تضايقها

(تركي) مستعيداً الهاتف من يد زوجته :

«لا تحولي هذه المكالمة إلى واحدة من مكالماتك الطويلة فلدي أمر مهم أريد التحدث فيه مع أخيك ..»

نهضت (هدى) من مكانها وقالت :

«سوف أذهب لأجهز الغداء قبل أن يعود (حسام) من الخارج ..»

بعد خروجها من غرفة المعيشة أكمل (تركي) حديثه مع (سعود) : «لو تركت المجال لها بالحديث لغابت الشمس قبل أن تفرغ ..»

(سعود) ضاحكاً : لا تتحدث عن أختي بهذه الطريقة يا أحفورة!

(تركي) : بالحديث عن الأحافير .. لقد حصلت على التصاريح .. جهز نفسك أنت و(خلود) سوف نرحل فجر الجمعة القادم

(سعود) : تقصد ..

(تركي) : نعم .. نعم .. المنطقة التي طال انتظارنا لزيارتها لسنوات طويلة .. «مدائن الدنا»

(سعود) : تقصد الرحلة التي طال انتظارك أنت لها؟

(تركي) : لا أنكر أن زيارة هذه المنطقة كانت ولا تزال من أكبر أحلامي منذ أن بدأ شغفي بالتاريخ ينمو .. كان ذلك في المرحلة الثانوية على ما أظن

(سعود) : حسب علمي منطقة «مدائن الدنا» كبيرة ومساحتها شاسعة ومترامية الأطراف

(تركي) : صحيح .. سوف نخيم في مكان محدد بعيدًا عن المدائن أنا أعرفه جيدًا .. مكان له عمق تاريخي عظيم وسنقيم بها لمدة عشرة أيام ..

(سعود) : إقامة لمثل تلك المدة تستلزم استعدادات خاصة ونحن مجموعة من خمسة أشخاص

(تركي) : لا تحمل أي هم لقد قمت بجميع الترتيبات واستأجرت سيارتَيْ دفع رباعي إحداهما تتسع لراكبين فقط وبقية مساحتها خصصت لحوض كبير سننقل فيه جميع لوازم الرحلة ولن ينقصنا شيء

(سعود) : ألا تجد أن عشرة أيام مدة طويلة؟ .. أرى أن خمسة أيام كافية .. خاصة وأننا لن نبرح مكاننا أو نزور مناطق أخرى

(تركي) : هذه المنطقة الأثرية غنية وزاخرة بالآثار التي تعود لآلاف السنين وقد تعاقبت عليها حضارات كثيرة وكانت قبلة اقتصادية للكثير من الشعوب على مر العصور وهي أحد أهم المعالم التاريخية بالعالم وقد حرمنا منها ومن استكشافها لسنوات .. حتى كبروفسور في التاريخ لم يسمح لي بزيارتها قط بسبب المنع الذي لم أفهم سببه حتى هذا اليوم

(سعود) باسماً : لا أحتاج منك لدرسٍ في التاريخ كي أقتنع بالرحلة

فأختك قد قامت بذلك بالنيابة عنك منذ أن فاتحتنا بالموضوع قبل عدة أشهر ثم إن منع الزيارة لمنطقة بتلك الأهمية كما تقول أجده مبرراً لحمايتها من العبث والتخريب

(تركي) : عن أي عبث تتحدث؟ .. أنا أقدر الآثار وأعشقها

(سعود) : لا أتحدث عنك .. أقصد عامة الناس فلن يراعي الجميع أهمية المكانة التاريخية للموقع مثلك ويحافظوا عليها .. نحن يا رجل ما زلنا نعاني من مشكلة تخريب ورمي القمامة في الحدائق العامة وأنت تريد فتح المجال لزيارة مكان مهم مثل هذا؟

(تركي) : الزيارة المقننة والمربوطة بتصاريح هي الحل الأمثل وهذا ما يقومون به الآن وأجده أمراً ممتازاً ومشجعاً لتطوير السياحة الوطنية

(سعود) : على أي حال لا يهم المكان الذي سنذهب إليه فالرحلة بحد ذاتها ستكون ممتعة لأننا لم نجتمع منذ مدة طويلة وقد اشتقت لأختي

(تركي) ضاحكاً : وأنا كذلك اشتقت لأختي!

(سعود) : أختك جلست بجانبي الآن وتسلم عليك وتقول لك لا تنسَ الخروف

(تركي) مستمرّاً في الضحك : كيف أنساه وهو معها ويتحدث معي الآن؟!

(سعود) بتهكم : الفكاهة والتاريخ لا يجتمعان فاتركها لابنك (حسام) فهو صاحب الظل الخفيف في العائلة

(تركي) : حسناً .. حسناً .. لن أنسى .. خروف صغير كما تحب أختي .. يبدو أنك لا تطعمها في منزلك

(سعود) : لو كانت تجيد الطبخ مثل أختي لبنيت لها زريبة كاملة في منزلنا لكنها تتفنن بالأكل والتذوق فقط .. آخ! .. لمَ لكزتِني؟!

(تركي) وهو يهم بإنهاء المكالمة ضاحكاً :

«سأترككما الآن لتناقشا الاستعدادات للرحلة بهدوء ومحبة ..»

صباح الجمعة اكتملت التجهيزات عند منزل (تركي) وقام ابنه (حسام) بركوب السيارة المحملة بمعظم الحاجيات اللازمة للرحلة من خيام وجوالين للماء وأدوات الطبخ وغيرها وقال الأب عندما دنا منه وهو يدير محركها :

«أين الخروف؟ .. هل تريد من عمتك (خلود) أن تغضب وتنحرنا بدلاً عنه؟!»

(حسام) مبتسماً : لا تقلق يا أبي لقد اشتريته بعد صلاة الفجر من سوق المواشي وتركته عند جارنا بعد عودتي

(تركي) : ولِمَ تركته عنده؟

(حسام) ضاحكاً : لأنه يملك مكاناً مخصصاً للمواشي في فناء منزله ولم أرد أن أضعه عندنا كي لا تغضب أمي مما قد يسببه من تخريب في حديقتها الغالية .. يكفي المشكلة التي حدثت لي بسبب هذه الخراف

(تركي) : مشكلة؟ .. عن ماذا تتحدث؟

(حسام) : لا أبداً .. تشاجرت مع رجل عندما حاولنا شراء الخروف نفسه لكنه في النهاية ساعدني في إيجاد خروف آخر وتصالحنا .. حتى أننا تبادلنا الأرقام وسنلتقي بعد عودتنا من هذه الرحلة لذا حرصاً على عدم الدخول في مشكلة أخرى مع أمي وضعته عند جارنا

(تركي) : قرار حكيم .. لعل هذا الخروف مكتوب لنا لذلك وقعت تلك المشكلة .. حسناً على أي حال أنا سأركب مع أمك ونعرج بمنزل خالك ونقله مع عمتك وموعدنا عند المحطة الواقعة خارج حدود المدينة كي نتساير معاً

(حسام) : كم تبعد المسافة إلى تلك المنطقة الأثرية؟

(تركي) يتثبت من شد الوثاق على الحمولة فوق سيارة (حسام) : المسافة من مدينتنا للعاصمة ستستغرق أربع ساعات تقريباً لكن من هناك سننطلق باتجاه الشمال الغربي لمدة مماثلة نسلك بعدها طريقاً يقودنا للمنطقة التي نستهدفها وهذا قد يستغرق ساعتين

(حسام) : عشر ساعات .. هذه مسافة طويلة

(تركي) : هل ترغب في أن يصاحبك أحد منا خلال الطريق؟

(حسام) : لا .. كي أتمكن من الإنصات للمذياع بصوتٍ مرتفع كما أحب

(تركي) : حسناً لكن تذكر أن الطريق الذي سنسلكه في النهاية لن يكون معبداً

(حسام) ممازحاً : هل أنت واثق من معرفتك بالطريق المؤدي إلى هناك أم أننا سنحتاج لجهاز الملاحة يا أبي؟

(تركي) مشيراً لرأسه بسبابته ضاحكاً : جهاز الملاحة هنا وتلك المنطقة الأثرية محفورة في عقلي منذ سنوات وكنت أنتظر الفرصة فقط لفتح الطرق المؤدية إليها

(حسام) بعد أن أخذ الخروف من جارهم : حسناً إذاً سأنطلق الآن وموعدنا عند المحطة ..

بعد ما عرج (تركي) وزوجته (هدى) بمنزل أخته (خلود) وزوجها (سعود) توجه مباشرة نحو محطة الوقود الواقعة عند أطراف المدينة غرباً. بدأت رحلتهما بعد ما أعطى (تركي) ابنه الإشارة بأن يلحق به ليكون هو في المقدمة و (حسام) من خلفه يقود السيارة المحملة بمعظم لوازم الرحلة وبجانبه جلس خروف صغير ربطه بحزام الأمان فقالت (هدى) لزوجة أخيها ضاحكةً :

«من شدة حرص (حسام) على خروفك قام بوضعه في المقعد الأمامي بدل ربطه في الخلف!»

(خلود) وهي تطل من نافذة المقعد الخلفي ملوحة لابن أخيها باسمة محدثة من معها في السيارة : تتحدثون وكأني الوحيدة التي ستظفر بهذا الخروف الصغير

(تركي) ممازحاً ونظره على الطريق أمامه : ابني ابتاعه وأنا سأذبحه وزوجك سيسلخه ويقطعه وزوجتي ستطبخه .. ماذا ستفعلين أنتِ؟

(سعود) من المقعد الأمامي : ستأكله بالطبع

(هدى) مستمرة بالضحك : كفا عن مناكفتها ولا تضايقاها .. بالهناء والعافية عليها!

(خلود) : هل رأيتِ كيف يلمحان إلى أن لا فائدة مني؟!

(هدى) : تجاهليهما .. سوف يعرفان أهميتكِ عندما يرغبان في تناول القهوة فكلاهما لا يستطيع حتى تسخين الماء

(تركي) : في هذه لا أستطيع الإنكار

(سعود) ضاحكاً : ما بك انهزمت بسرعة؟!

(خلود) باسمة : إنها ليست معركة كي يخرج أحدنا منتصراً فجميعنا نكمل بعضنا بعضاً

(تركي) : على ذكر ذلك باركوا لـ (هدى) فقد حصلت على رخصة القيادة الأسبوع الماضي

(سعود) ملتفتاً للمقعد الخلفي بسعادة : حقّاً؟! .. مبارك!

(خلود) : أنا سعيدة لأجلكِ .. الآن يمكنكِ تعليمي لأحصل على واحدة أنا الأخرى

(هدى) باسمة : شكراً لكما .. بالطبع سوف أفعل لأني أعرف أن أخي كسول ولن يقوم بذلك

(سعود) ضاحكاً : مشغول وليس كسولاً!

(خلود) : لم أعد أحتاجك الآن أيها المشغول كي أتعلم قيادة السيارة (هدى) سوف تغنيني عنك

(تركي) بنبرة ممازحة ومتهكمة : ومن سيشتري لكِ السيارة التي ستقودينها؟ .. (هدى)؟

ضحك (سعود) وتبعه البقية ..

استغرقت الرحلة نحو العاصمة ما يقارب ثلاث ساعات ونصف الساعة قبل أن يغير (تركي) من خط سيرهم شمالاً بعد ما تزودوا بالوقود مجدداً في إحدى المحطات سالكين مساراً آخرَ قادهم لخط صحراوي طويل خفيف الازدحام أمضوا فيه ما يقارب أربع ساعات من السير المتواصل مروا من خلالها بنقطتين للتفتيش سمحتا لهم بالعبور بعد ما تثبتوا من تصاريحهم لزيارة المنطقة.

بعد ما تجاوزوا نقطة التفتيش الثانية بنصف ساعة توقف (تركي) على جانب الطريق مخرجاً يده من النافذة مشيراً لابنه بالاقتراب منه.

(هدى) من المقعد الخلفي : هل وصلنا؟!

(تركي) : لا لكننا سنبدأ بسلك الطريق الترابي

(خلود) : ماذا يعني ذلك؟

(سعود) : يعني طريقاً غير معبد

توقف (حسام) وأنزل نافذة المقعد بجانبه ليطل الخروف الصغير منها وقال من ورائه محدثاً أباه : أين نتوجه الآن؟

(تركي) موجهاً سبابته للجهة الشمالية الغربية :

«نحن الآن في منطقة «مدائن الدنا» لكن وجهتنا تقع على مسيرة ساعتين من هنا .. اتبعني ولا تسرْ خلفي مباشرة بل شق لنفسك مساراً مختلفاً وخذ حذرك من الكثبان الرملية الناعمة كي لا تعلق سيارتك وتذكر أن الهواتف النقالة ستفقد التغطية بعد ما نقطع نصف الطريق..»

(حسام) : حسناً ..

(تركي) وهو يغلق نافذته ممازحاً : ولو احتجت أي نصيحة فاسأل مرافقك

(حسام) ضاحكاً : حاضر يا أبي

سارت السيارتان على الرمال وفوق الكثبان وكان الركاب مستمتعين

بالمناظر الصحراوية الخلابة التي يمرون بها من وقتٍ لآخر من جبال وواحات نخيل خضراء.

(خلود) وهي تنظر من النافذة لسلسلة جبال حمراء في الأفق على يمينها:

«لم أكن أعلم أن بلادنا تحتضن مثل هذه المناطق الجميلة ..»

(هدى) وهي تشاركها النظر: فعلاً .. المكان هنا ساحر

(تركي): والمكان الذي سنخيم فيه أجمل وزاخر بالتاريخ العتيق

(سعود): لم تحدثنا كثيراً عن تلك المدينة الأثرية

(تركي) ناظراً من مرآته الجانبية للتحقق من أن (حسام) لا يزال وراءهم:

«هي ليست مدينة بالمعنى المتعارف عليه ..»

(هدى): ماذا تكون إذاً؟

(تركي): منطقة كبيرة تعاقبت عليها حضارات كثيرة على مر التاريخ ونظراً لقلة البحث التاريخي في آثارها لم يتمكن المؤرخون من تحديد عدد تلك الحضارات لكن ما هو مؤكد أن بعضها يعود لآلاف السنين قبل الميلاد وكثير من زوارها بقوا فيها ولم يتركوها وتدريجياً أصبحت منطقة مأهولة بالسكان المستقرين

(خلود) : في العادة يحدث ذلك النوع من الاستيطان المتكرر للمناطق التي تتصف بميزة ما مثل أن تكون قبلة اقتصادية أو تحتوي على موارد طبيعية كالماء أو تقع على طريق تجارة مزدهرة

(تركي) : صحيح .. وهذا أحد أسرار تلك المنطقة الغامضة فهي لم تكن تملك أي أهمية واضحة أو موارد جذابة ومع ذلك كل حضارة سيطرت على المنطقة حرصت على تعميرها وإبقائها حية وتردد الناس عليها موثق بالآثار المكتشفة فيها وحولها .. لقد كانت مزدحمة دوماً ولم ينقطع عنها الزوار إلا بعد ما دخلها أحد الغزاة ودمرها بالكامل وقضى عليها وهدم معظم مبانيها في هجمة من الواضح أنها خصصت لمسح معالمها وقد سن قانوناً بتحريم الدخول إليها استمر وتوارثه الأجيال لسنوات طويلة إلى وقت قريب.

(هدى) بقلق : ونحن الآن سوف ندخلها ..

(تركي) ضاحكاً : ولِمَ أنتِ خائفة هكذا؟ .. ذلك الغازي كان مثل أي متسلط حب أن يفرض سيطرته ويرسخ اسمه في التاريخ بعمل شنيع كهذا

(هدى) : لا أعرف يا (تركي) .. قد يكون له أسباب أخرى

(خلود) : بدأت أشعر بالقلق من المبيت في تلك المدينة

(تركي) : من منا متخصص في التاريخ أنا أم أنتم؟ .. صدقوني تدمير المدن والحضارات شيء مألوف عند الغزاة وكانوا يرون فيه نصرة لأنفسهم وشعوبهم وتنكيلاً بأعدائهم لا أكثر ولولا علاقاتي بالجامعة لما كنا من أوائل من يزورها بعد رفع الحظر عنها .. هذه فرصة تاريخية لنا جميعاً .. زملائي في القسم يحسدونني كثيراً عليها

(هدى) باسمة : سعيدة لأجلك يا عزيزي

(خلود) مراقبة الشمس وقد بدأت تفقد توهجها : هل بقي الكثير لنصل؟

(تركي) : لا .. لقد اقتربنا .. سنكون هناك بداية العصر

أخرج (سعود) مدونة صغيرة وقلم رصاص من جيب صدره وبدأ يكتب فيها بصمت ..

(تركي) خاطفاً نظره نحوه : ماذا تفعل؟

(خلود) ضاحكة : زوجي يدون كل شيء جديد عليه في مدونات صغيرة لا تفارقه .. بيتي ممتلئ منها

(تركي) بتهكم : ألم يسمع بالمفكرة الإلكترونية؟
(سعود) وهو مندمج في الكتابة دون أن يرفع رأسه : «لا تتحدثا عني وكأني لست موجوداً ثم إنه لا يوجد شيء في الدنيا يضاهي الورقة والقلم مهما تقدم العلم..»
(تركي) بنبرة متهكمة وساخرة : لم أكن أظن أنك رجعي لهذه الدرجة
(خلود) واكزة كتف أخيها من الخلف ضاحكة : لا تتحدث عن زوجي بهذه الطريقة!
(هدى) : نعم .. اترك أخي وشأنه!
(سعود) معيداً المدونة لجيبه : دعاه فهو لن يفهم أنه بدون الورقة والقلم لم يكن لأجهزته المتطورة وجود .. أين جهاز الملاحة بالمناسبة؟
(تركي) : في درج السيارة .. لَم تسأل؟ .. كنت أظنك لا تحبذ استخدام الأجهزة الحديثة
(سعود) فاتحاً الدرج أمامه : أريد معرفة إحداثيات المنطقة التي نحن متوجهون إليها
(تركي) : أنا أعرف الطريق المؤدي إلى هناك وأحفظه عن ظهر قلب

(سعود) مخرجاً الجهاز : أريد فقط تدوينها في مفكرتي وأن ألقي نظرة على التضاريس المحيطة بنا

(تركي) : حسناً .. ضعه بشاحن السيارة كي لا تنفد البطارية عندما تستخدمه

بعد سير لم يدم طويلاً وصل الجميع للموقع الذي كان عبارة عن مجموعة من المباني الحجرية المتهالكة ولم يتبقَّ منها سوى بعض الجدران التي غُمر معظمها بشكل جزئي تحت الرمال. برز من بين تلك المباني عدد من الأشجار المتفرقة والمختلفة الأحجام والأنواع لكن النخيل كانت السائدة بينها.

أوقف (تركي) السيارة وترجل منها وعلى وجهه ابتسامة عريضة وسار نحو المباني ومسح بكفه على أحد الجدران الحجرية بانتشاء كبير وقال :

«لم أظن يوماً أني سأقف هنا عند هذا المعلم التاريخي العريق ..»

نزل البقية تباعاً من السيارة ومن ضمنهم (حسام) الذي ترجل هو الآخر من سيارته ووقفوا جميعاً يتأملون المكان والمباني الحجرية المهدمة ذات النقوش المميزة.

(سعود) : مكان جميل بالفعل .. هل سنقيم هنا؟

(تركي) مشيراً بسبابته لمنطقة رملية مفتوحة بجانبه : هنا سننصب المخيم .. هذا أفضل موقع

(خلود) : نعم لكنه سيكون مخيفاً ليلاً

(حسام) مطمئناً : لا تقلقي يا عمتي لقد جلبنا أنوارًا كافية لإضاءة قرية كاملة

(هدى) وهي تجول بنظرها حولها : وكذلك هناك الكثير من الحطب الذي يمكننا إشعاله

(سعود) : لا يوجد شيء يبهجني كجمال شكل النار المشتعلة في العراء

(تركي) ملتفتاً نحوهم بحماس وسعادة :

«ماذا تنتظرون إذًا؟! . .هيا لنبدأ بتجهيز مخيمنا قبل حلول الليل!»

أمضى المجموعة الساعتين قبل الغروب في نصب خيمة كبيرة على بعد خمسة وعشرين متراً تقريباً من الموقع الأثري اتسعت لهم جميعاً وكذلك قاموا بفرش وتوزيع حقائب نومهم في زواياها ثم أنزلوا بعدها أدوات الطبخ والمواد الغذائية من معلبات وفواكه وخضروات ووضعوها وسط برادٍ كبير بجانب الخيمة استمد طاقته من مولدٍ صغير جلبوه

معهم كما قاموا بتجهيز مكان للاغتسال وقضاء الحاجة باستخدام بعض الأدوات المبتكرة المخصصة للرحلات وربطها بخزان الماء الكبير في حوض السيارة التي قادها (حسام) أما الماء العذب المخصص للشرب فمصدره كان مجموعة صناديق لقوارير بلاستيكية بالإضافة لثلاثة جوالين كبيرة أنزلوها ووضعوها هي الأخرى بجانب البراد في الخارج.

بعد ما انتهى الجميع من عملهم أشعلوا ناراً أمام الخيمة باستخدام بعض الحطب الذي جمعوه من المنطقة حولهم وقام (حسام) مع خاله (سعود) بتوصيل الكشاف الضوئي لبطارية إحدى السيارتين وتعليقه على أحد أطراف السيارة بينما قامت (هدى) و(خلود) بتجهيز القهوة والشاي وبعض الوجبات الخفيفة حول النار.

في تلك الأثناء كان (تركي) يقف بجانب الخروف الصغير الذي قُيد من عنقه بحبلٍ قصير ربط في شجرة مجاورة لخيمتهم وقال محدثاً الجميع بنبرة ممازحة:

«متى سوف نجهز هذا الجميل للطبخ؟»

نهضت (خلود) من أمام النار وسارت نحو أخيها وقالت باسمة: هل تنوي طبخه كله؟

(تركي) : نعم .. لقد أحضرنا معنا الكثير من اللحوم والدواجن المجمدة ولا أريد تخزين المزيد وخسارة ميزة لحمه الطازج .. ثم انظري إليه فهو صغير جدّاً وبالكاد سيشبعنا

(خلود) ناظرة للخروف الصغير واضعة إبهامها وسبابتها تحت ذقنها: «وكيف ستطبخونه؟ .. شيّاً أم دفناً مع الأرز؟»

(سعود) مقترباً منهما مشاركاً في الحديث : مثل هذا الخروف الصغير ذي اللحم الغض يلائمه الطبخ على نار هادئة

(هدى) منضمة إليهم : ما بكم مجتمعين هكذا؟

(حسام) مكملاً الحلقة حول الخروف الصغير ضاحكاً : يخططون ويناقشون طريقة طبخ هذا المسكين

(خلود) : في الحقيقة أهنئك على اختيارك يا ابن أخي .. الخروف جميل جدّاً

(حسام) : كنت حريصاً أن أشتري خروفاً لا يزال يرضع من أمه كي يكون لحمه أطرى وألذ

(تركي) محرراً العقدة من عنق الخروف : ماذا ننتظر إذاً؟! .. هيا بنا قبل أن يتقدم في السن أكثر!

ضحكت (هدى) وقالت : سوف أجلب السكاكين

(سعود) : أين ستذبحه؟ .. لا تنحره قريباً من مخيمنا كي لا تنجذب الحيوانات لرائحة الدم وتزعجنا خلال نومنا

حمل (تركي) الخروف الصغير بين أذرعه وجال بنظره من حوله لثوانٍ ثم سار للأمام وهو يقول : (حسام) .. حرر الكشاف الضوئي واتبعني

(حسام) : أمرك يا أبي

(خلود) وهي تتبعهما بصحبة زوجها : إلى أين؟

(تركي) مستمرّاً في السير في الظلمة مبتعداً عن المخيم :

«لقد رأيت حجراً مسطحاً عندما توقفنا أول مرة عند الآثار الحجرية وهو مناسبٌ جدّاً لتجهيز الذبيحة لأن بجانبه شجرة ملائمة لتعليقه وسلخه عليها ..»

(سعود) عائداً : سوف أحضر بعض الأكياس البلاستيكية لجمع أحشائه وفرائه لندفنها

(تركي) لـ (خلود) : ما قصة زوجك مع النظافة؟

(خلود) باسمة : لديه رهاب من الكلاب والحيوانات وما على شاكلتها

(تركي) ضاحكاً : حقّاً؟! .. لم أكن أعرف ذلك!

(خلود) : ولا أنا .. اكتشفت ذلك مؤخراً

(تركي) مستمرّاً بالضحك : تقصدين بعد ما وقعت الفأس بالرأس وتزوجته!

(خلود) : الأمر ليس بذلك السوء فكل منا له مخاوفه الخاصة .. أم أنك نسيت خوفك الغريب من الصراصير

(تركي) باشمئزاز : ومن يملك عقلاً ولا يخاف من تلك المخلوقات البشعة ذات الأرجل النحيلة وقرون الاستشعار المقززة؟! .. خاصة الطائر منها!

(خلود) بنفور : حديثك عنها الآن وبهذا الشكل سبب لي قشعريرة ..

(تركي) : ماذا عن خوفكِ من الدم؟ .. هل ترينه أمراً طبيعيّاً؟

(خلود) : وما غير الطبيعي في كره مشاهدة منظر الدم؟

(تركي) : لأنكِ تحبين تناول اللحوم هذا هو الغريب في الأمر .. ناهيك عن أنكِ متخصصة في علم الأحياء

(خلود) : اللحم يكون مطبوخاً وليس نيئاً ولا علاقة لتخصصي بتقرفي من الدماء

(تركي) ضاحكاً : بمعنى آخر تحبين تناول الدم المطبوخ!

(خلود) بتقرف : كف عن محاولة استفزازي فأنا مستمتعة بالمكان!

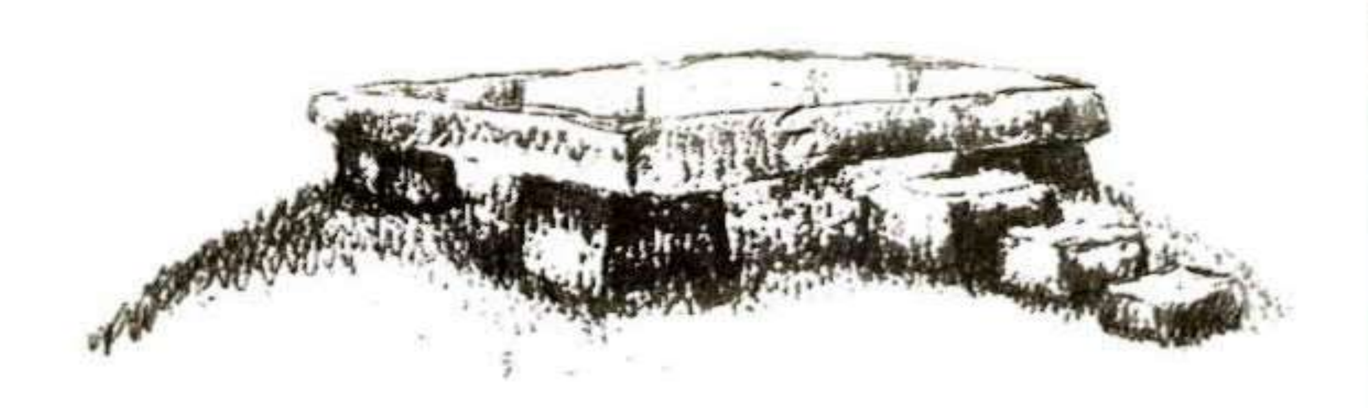
قوطع حديثهما عندما وصل (حسام) وهو حاملٌ الكشاف المنير بيده وقال لأبيه :

«أين تريد مني تسليط الضوء يا أبي؟»

أومأ (تركي) برأسه لمكان قريب من أحد المباني الحجرية وهو يشد على الخروف الصغير بين ذراعيه وقال :

«هناك ..عند تلك الشجرة الكبيرة بجانب النصب الحجري»

الشق والشرخ



سلط (حسام) الضوء حيث أشار أبوه كاشفاً عن صخرة ملساء منحوتة بشكل مستطيل كطاولة طعام استقر أسفل منها مجموعة من الصخور الصغيرة المصفوفة رفعتها فوق سطح الأرض إلى مستوى ركب رجل بالغ. الصخرة تبدو للوهلة الأولى مجرد قطعة حجارة اعتيادية لكن مع التركيز وإمعان النظر فيها يتضح أنها تملك تفاصيل ونقوشاً مميزة نحتت على أطرافها وجوانبها مما أثار تعجب الجميع عندما أحاطوا بها عدا (تركي) الذي بطح الخروف على سطحها وقال :

«هذا النصب كان يستخدم لتقديم القرابين في الماضي ..»

(سعود) : القرابين؟

(حسام) : قرابين لمن؟

(تركي) رابطاً أطراف الخروف الأربعة بحبل جلبه معه :

«كل حضارة آمنت بشيء ما وقدمت القرابين له تقرباً وتضرعاً .. الديانات الوثنية كانت طاغية ومنتشرة في هذه البقاع قبل آلاف السنين ..»

(هدى) : هل من الحكمة نحر ذبيحتنا هنا؟

(تركي) : ماذا تقصدين؟

(هدى) : لا أعرف .. لا أشعر بالارتياح بعد ما عرفت حقيقة هذه الصخرة

(خلود) : أتفق معها يا أخي .. أشعر بأننا نرتكب خطأً

(تركي) وهو يشد العقدة على قوائم الخروف : خطأً من أي نوع؟ .. هذه منصة معدة ومهيأة للذبائح بكافة الأنواع .. حتى البشرية أحياناً

(هدى) برهبة : البشرية؟

(تركي) آخذاً أحد السكاكين من بين يدي زوجته : نعم .. القرابين في تلك الأوقات لم تكن كلها حيوانات وبهائم

(سعود) : هذا أدعى أن نبحث عن مكان آخر .. الذبح على هذه الصخرة يعتبر نوعاً من الشرك؟

(تركي) باحثاً بأصابعه عن أوداج عنق الخروف : سيكون شركاً إذا اعتقدت بمنفعة أو ضرر سينجمان عن ذلك فالأمر هنا متعلق بالنية

(سعود) بتهكم : هل أصبحت مفتياً الآن؟

(تركي) : لا ولكنني أوضح لك اللبس الذي وقعت فيه

(هدى) : أنا أرى أن الموضوع فيه شبهة وتجنبه أولى

(خلود) : صحيح يا أخي لنتجنب الخلاف وأنزله على الأرض واذبحه

(تركي) رافعاً السكين للأعلى بيد وباليد الأخرى مثبتاً رأس الخروف :

«الذبح على هذا النصب الحجري تجربة تاريخية فريدة ولن أفوتها لأنكم لا تثقون بقوة إيمانكم ..»

مرر (تركي) نصل السكين الحاد على أوداج الخروف ففار على أثره دمه الساخن وسال على سطح الصخرة الملساء وبقي يراقب خط الدم وهو يجري ببطء نحو طرفها قائلاً بتهكم: «انتهى الأمر .. هل كفر أحد فيكم؟»

(سعود) نافضاً الكيس البلاستيكي :

«لا فائدة من الحديث الآن .. علقه كي نسلخه ونفرغ بطنه من أحشائه..»

(تركي) منادياً على ابنه السارح : أحضر حبلاً آخر يا (حسام) لنعلق هذا الجميل!

(حسام) وهو يجري عائداً للمخيم : حاضر يا أبي!

(هدى) ممسكة بيد (خلود) : ونحن سنعود كذلك لنجهز أدوات الشواء

عندما رفع (تركي) الخروف المنحور لاحظ أن الدم قد ساح على سطح الصخرة الملساء بطريقة ملتوية قبل أن يقطر من طرفها على الأرض وأن مجراه انحرف عدة مرات وكأنه دخل في متاهة ومع إمعانه النظر اكتشف أن الصخرة لم تكن ملساء بل حفر على سطحها مجموعة من النقوش الغريبة اتضح شكلها عندما عبر الدم الساخن عليها مذيباً الأتربة الناعمة المجتمعة في حفرها. لم يتحدث (تركي) عما لاحظه وآثر الصمت كي لا يثير أي حديث جانبي هو في غنى عنه خاصة من زوج أخته وخلال أقل من ساعة انتهي الثلاثة من سلخ وتنظيف الذبيحة وتكييس مخلفاتها ودفنها تحت الشجرة وعادوا للخيمة وخلال سيرهم نحوها قال (تركي) لـ (سعود) ممازحاً بنبرة متهكمة وهو حامل الذبيحة بين ذراعيه :

«هل تريد غسل الدماء من على الصخرة أيضاً؟»

(سعود) : لا تشجعني فالفكرة تراودني فنحن لا نريد دعوة ضيوف غير مرحب بهم إلى مخيمنا

(حسام) : أتفق مع خالي فرائحة الدماء قد تجذب لنا الحيوانات وقد تكون فكرة حسنة

(تركي) : لن نستهلك الماء لهذا الغرض .. إذا كنتما مصرين على ذلك فيمكننا استخدام بعض البنزين من جالون الوقود الاحتياطي وسكبه على الصخرة وإشعالها فهذا سيقضي على أي رائحة

(سعود) : فكرة جيدة سأقوم بذلك!

افترق (سعود) عنهما وتوجه للسيارة بينما وصل الاثنان للخيمة ليجدا أن (هدى) و(خلود) قد فرشتا بعض الجمر المشتعل على منقلة حديدية نصب عند أطرافها عمودان معدان لتقليب الذبيحة التي بسطها تركي على صينية معدنية وقام بتتبيلها ثم رفعها وغرس سيخًا خلالها ووضعها فوق النار المشتعلة وبدأ بتقليبها يدويّاً لعدة دقائق وهو يقول ضاحكاً :

«ليتنا اشترينا الشواية الكهربائية!»

(هدى) وهي تسكب له بعض الشاي باسمة : يمكننا التناوب على التقليب إن كنت تشعر بالتعب

أخذ (تركي) كوب الشاي بيد واستمر بالتقليب بالأخرى قائلاً :

«لا داعي لذلك .. الخروف صغير ولحمه طري وسينضج بسرعة .. ثم يمكنني التوقف من وقت لآخر بعد ما تهدأ النار ..»

(خلود) وهي تجلس بجانب أخيها مقربة كوب شاي من فمها : أين (سعود)؟

قبل أن يرد عليها أخوها اشتعل وهج قوي على بعد منهم أفزع السيدتين لكن (تركي) ضحك وقال : يقوم بإشعال النصب الصخري!

(خلود) وهي تراقب كرة اللهب الكبيرة على بعد منهم بتعجب : ولِمَ يقوم بذلك؟!

(تركي) ساخراً ومستمراً بالضحك وهو يأخذ رشفة من كوبه :

«أعتقد أنه يملك رهابًا من الصخور أيضاً!»

بعد عودة (سعود) قضى الجميع الساعات التي تلت ذلك في تناول وجبة عشائهم من اللحم المشوي والسمر أمام النار وتناول الشاي والقهوة وبعض الأطعمة الجانبية الخفيفة. أول المستسلمين للنوم كانت (هدى) التي وضعت كفها على فمها المتثائب قائلة :

«أريد البقاء معكم أكثر لكن النوم غلبني فأنا مستيقظة من قبل الفجر ويجب أن أخلد للنوم إن كنتم تريدون تناول الإفطار غداً»

(تركي) ناهضاً من مكانه : أنا سأرافقكِ أيضاً فجميعنا مرهقون

(سعود) : نحن لن نتأخر كذلك وسنلحق بكما بعد قليل

(تركي) سائراً مع زوجته الناعسة للخيمة : لا تخمدوا النار واتركوها مشتعلة

رفع (حسام) قبضتيه للأعلى متمدداً : أنا كذلك سآوي لفراشي

(خلود) : ابقَ معنا قليلاً يا (حسام)

تبسم (حسام) بوجه مرهق وقال : كنت أود ذلك يا عمتي لكني بحق مرهق

(سعود) : اتركيه ليرتاح .. أمامنا يوم حافل غداً

(خلود) : ماذا تخططون لنا؟

(سعود) : أعتقد أن تركي سيأخذنا لجولة تاريخية في المنطقة

(خلود) : دروسه التاريخية بدأت منذ اليوم مع تلك الصخرة الخاصة بالقرابين

تغيرت ملامح وجه (سعود) وقال : ليته لم يقم بما قام به ..

(حسام) : أنا أيضاً لم أتفق معه فيما قام به

(سعود) : ولِمَ لم تقل شيئاً وقتها وتركتني أجادله وحدي؟

(خلود) : أنت تعرف أخي .. لم يكن سيستجيب لأي أحد منا وسيتحول الأمر إلى شجار .. ابن أخي كان حكيماً بصمته وأنت كنت رشيداً بعدم الإصرار

(سعود) رامياً غصناً جافاً في النار : انتهى الموضوع على أي حال

(حسام) ناهضاً من مكانه : تصبحان على خير

(خلود) باسمة : وأنت من أهل الخير يا عزيزي

(سعود) : وأنت من أهله .. أطفئ جميع الكشافات قبل أن تدخل للخيمة

نفذ (حسام) ما طلبه منه خاله ودخل مباشرة للخيمة ..

أسندت (خلود) رأسها على كتف زوجها متأملة النار وقالت : «يجب أن نقوم برحلة مماثلة وحدنا في المستقبل ..»

(سعود) وهو يشاركها النظر لألسنة النار : كنت أفكر بالشيء ذاته ..

(خلود) زافرة مبتسمة : كنت أتمنى أن نكون وحدنا في هذه الرحلة .. هل تعلم أن هذه أول مرة نسافر بعد شهر العسل

(سعود) : أعدكِ بأننا عندما نعود سأبدأ بالتجهيز لرحلة خاصة بنا

(خلود) : سيسعدني ذلك بحق .. أحب عندما نخلو بعضنا ببعض في

مكان هادئ ونتجاذب أطراف الحديث .. أشعر بأني أتحدث مع نفسي عندما أتحدث معك ..

(سعود) ضاحكاً : هل يعني ذلك أني منصت سيئ؟!

(خلود) : على العكس تماماً .. أقصد أني أتحدث مع نفسي التي تشبهني وتفهمني ولا أحتاج أن أشرح أو أبرر لها .. التي لا تحكم عليّ أو على أفكاري بل تنصت لي وعندما تكلمني تزيدني ثقة بنفسي

(سعود) : وأنا يراودني الشعور نفسه عندما أتحدث معكِ .. أشعر بأنكِ توءمٌ لروحي

(خلود) : أحب كلامك والليلة حديثك له دفء خاص ومختلف

(سعود) : لعل السر في المكان وليس فيَّ

(خلود) متأملة أمامها : المكان هنا جميل بحق

(سعود) : وكان سيكون أجمل لو كنا في خيمة وحدنا وخاصة بنا

(خلود) باسمة : أعرف قصدك .. سأطلب من أخي غداً أن يخرج الخيمة الاحتياطية الصغيرة التي أحضرها معه لننصبها لأنفسنا

(سعود) : وهل تظنين أنه سيوافق؟ .. لا أفهم سر إصراره أن نقيم في خيمة واحدة

(خلود) : أعتقد أنه لم يعتد حتى الآن فكرة أني تزوجت .. لا يزال يعاملني كأخته الصغيرة

(سعود) : وما ذنبي أنا؟

(خلود) ضاحكة : أخبرتك بأني سأتصرف!

(سعود) مبتسماً : حسناً سنرى ..

صمت الاثنان وهما يتأملان النار الحمراء المتوهجة في عتمة المكان وخلال تأملهما لها سمعا صوتاً غريباً قادماً من خلفهما من مسافة بعيدة .. صوتاً أشبه بصوت مواء القط لكنه كان أغلظ ومتحشرجاً بعض الشيء وحدث بسرعة خاطفة لم تمكنهما من تمييزه.

(خلود) رافعة رأسها من على كتف زوجها وبنبرة متوترة : ما هذا الصوت؟!

(سعود) ملتفتاً وراءه في الظلمة : ربما حيوانٌ ما .. كنت أعرف أن الذبيحة ستجذبها لنا

(خلود) متشبثة بملابس زوجها وهي تشاركه النظر للوراء : هل هذه الحيوانات مفترسة؟

(سعود) رامياً المزيد من الحطب على جمر النار : لا تقلقي .. النيران ستخيفها

(خلود) : قلبي بدأ يدق بسرعة

تكرر الصوت مرة أخرى لكنه هذه المرة كان مختلفاً .. كان كهديل الحمام الخفيض واستمر لما يقارب نصف الدقيقة قبل أن يتوقف وقد قضاها الاثنان في الإنصات له متسمرين بأعين متسعة وبعد توقفه قالت (خلود) المرعوبة : أي حيوان يصدر مثل هذا الصوت؟

(سعود) بتوتر : تجاهلي الأمر وهيا بنا لندخل الخيمة ونحاول النوم

(خلود) : وأي نوم سيأتيني بعد ما سمعته؟

(سعود) محاولاً طمأنة زوجته : هذه أصوت طبيعية في العراء .. هيا انهضي

نهض الاثنان ودخلا الخيمة وأغلقا بابها القماشي وراءهما بإحكام وناما. غط الجميع في نوم عميق جراء الإرهاق والتعب الذي ألم بهم بسبب مشقة السفر وتجهيز المخيم وامتد سباتهم لساعات طويلة حتى فتحت (خلود) عينيها ببطء بعد ما اكتفت من النوم لكن ملامح وجهها تحولت للتعجب عندما وجهت نظرها وهي مستلقية على جنبها لأطراف باب الخيمة ورأت أن الوقت كان ليلاً فجلست مكانها وفركت وجهها بكفيها ورأت أن الجميع لا يزالون نائمين وقالت محدثة نفسها :

«هل يعقل أننا نمنا كل هذه المدة دون أن يستيقظ أحد منا ..؟»
وضعت (خلود) يدها على كتف زوجها وهزته برفق قائلة :
«(سعود) .. (سعود) .. استيقظ .. يكفي نوماً ..»
(سعود) فاتحاً عينيه ناهضاً بكسل : صباح الخير يا عزيزتي
(خلود) بوجه ناعس : «عن أي صباح تتحدث؟ .. لقد أضعنا النهار وحل المساء ونحن نائمون ..»
(سعود) موجهاً نظره لمخرج الخيمة : حقّاً؟ .. لَمَ لم يوقظونا؟
(خلود) موجهة نظرها لفراش أخيها وزوجته باسمة : لأنهم لم يستيقظوا أيضاً .. يبدو أنها غيبوبة جماعية
(حسام) من الجهة الأخرى وقد استيقظ للتو هو الآخر : ما الذي يحدث؟ .. لَمَ نحن في الليل؟
أيقظ الحوار (تركي) وزوجته اللذين عبرا عن الاستغراب نفسه من عدم استيقاظ أي منهم طيلة تلك المدة وقالت (هدى) : وكيف علمتم بأن اليوم التالي قد حل .. كم الساعة الآن؟
أخرج (سعود) هاتفه النقال من جيبه ووجه نظره لشاشته وقال : الساعة ..

صمت ولم يكمل كلامه فسألته زوجته : ما بك لمَ سكت؟

(سعود) موجهاً الشاشة نحوها : لقد نفدت البطارية

(حسام) متأملاً شاشة هاتفه : وأنا كذلك ..

(تركي) بتعجب رافعاً هاتفه أمام وجهه : وأنا أيضاً

(هدى) ناظرة لهاتفها : حتى أنا .. ما الذي يحدث؟

(خلود) : هل تمارسون مزحة ما عليّ؟

(سعود) : ماذا عن هاتفكِ؟

أخرجت (خلود) هاتفها من تحت وسادتها وألقت نظرة عليه وقالت بنبرة قلقة : «الهاتف مغلق ..»

نهض (تركي) من مكانه وسار نحو باب الخيمة ..

(سعود) مزيلاً اللحاف : انتظرني سآتي معك!

خرج الاثنان ووقفا خارج الخيمة يتأملان المكان حولهما لكن شعوراً انتابهما بأن هناك شيئاً غير طبيعي وخارجاً عن المألوف لكنهما لم يستطيعا تحديد ماهيته في بادئ الأمر ولم يفصح أي منهما عن إحساسه للآخر حتى خرجت زوجتاهما و(حسام) من خلفهما ووقفوا معهما لثوانٍ ثم قالت (خلود) : أين حاجياتنا؟

(حسام) مشعلاً كشافاً يدوياً جلبه معه موجهاً نوره جانباً : السيارتان اختفتا أيضاً!

(هدى) بتوتر : هل تعرضنا للسرقة؟!

(تركي) بخليط من التوجس والحذر : لا يبتعد أحد منكم من المكان قبل أن نتحقق مما حدث

(سعود) : أعتقد بالفعل أننا تعرضنا للسرقة

(تركي) : لا .. الأمر مختلف

(هدى) مقتربة من زوجها : ماذا تقصد؟

(تركي) وهو يمد يده لابنه : ناولني الكشاف

مد الابن الكشاف لأبيه وبعد ما قبض عليه وجهه نحو بقعة خاوية بجانب الخيمة وقال : «كان هناك شجرة هنا بالأمس ..»

ثم وجه الضوء لمكان آخر وقال : «وهناك بالأمس استقرت صخرة كبيرة ولم تعد موجودة الآن ..»

(حسام) مشيراً بسبابته أمامه : والمباني القديمة .. كأنها .. تغيرت ..

وجه (تركي) نور الكشاف نحو الأفق كاشفاً عن المباني الحجرية ..

(خلود) بأعين متسعة مبهورة : لم تعد قديمة ومتهالكة ..

(سعود) وهو سارح في الجدران المكتملة : وكأن أحداً قد قام بترميمها

(هدى) بجزع : ما الذي يحدث؟! . .هل نحن في حلم أو كابوس؟!

(تركي) بثبات : لا تقلقوا سوف نصل للأجوبة لكن عودا للخيمة واتركاني مع (سعود)

(حسام) : ماذا عني يا أبي؟

(تركي) متقدماً بحذر للأمام : كم كشافًا يدويّاً أحضرت معك؟

(حسام) : اثنين آخرين بالإضافة للذي بيدك

(تركي) : جيد .. أحضر لخالك واحداً واحتفظ بالثالث معك وابقَ مع أمك وعمتك إلى أن نعود

(حسام) : حاضر

تبع (سعود) زوج أخته بعد ما أخذ الكشاف من (حسام) ومع اقترابهما من مجوعة المباني قال وهو يوجه نور كشافه على جدرانها :

«هل لديك فكرة عما يحدث؟ .. هل هذا هو نفسه المكان الذي خيمنا فيه بالأمس؟»

(تركي) وعيناه تراقبان المكان بارتباك وحذر شديدين : نعم .. لكن ..

(سعود) : لكن ماذا؟

(تركي) محركاً كشافه يميناً وشمالاً : أشعر بأننا في زمن مختلف ..

(سعود) : زمن مختلف؟ .. بمَ تهرطق؟

(تركي) منيراً حافة صخرة كبيرة بجانبهما : لست أنا من يهرطق .. الصخور هي من تقول ذلك .. عوامل التعرية عليها مختلفة .. تكاد تكون معدومة

(سعود) موجهاً نور كشافه للصخرة ذاتها : مَا معنى هذا؟

(تركي) : لا أريد أن أستعجل بأي استنتاج غير عقلاني قبل أن نتحقق

(سعود) متهكماً بغضب : وكيف تنوي القيام بذلك يا عالم الآثار؟

(تركي) سائراً نحو المكان الذي كانت سيارتاهم مركونتين فيه : تعال معي

عند وصولهما للمكان وتسليط أضواء كشافيهما عليه لاحظ الاثنان أن الأرض التي كانت رملية وجرداء بالأمس تحولت لبقعة خضراء من الأعشاب والنباتات النحيلة والطويلة بسطت على مساحة كبيرة حول مخيمهم ووصل ارتفاع أهدابها لخاصرتيهما.

(تركي) قاطفاً بعضَ الأوراق متفحصاً إياها تحت ضوء كشافه : «حتى النباتات غريبة وغير مألوفة على هذه المنطقة ..»

(سعود) مستكشفاً بالكشاف حولهما : هيا لنعد لدي شعور سيئ ..

(تركي) واضعاً الأوراق في جيبه ماسحاً كفه على صدره متقدماً أكثر للأمام :

«لا تسمح لهواجسك بالتمكن منك .. حافظ على هدوئك كي نصل لتفسير منطقي وعلمي لما يحدث ..»

سار الاثنان وتوغلا أكثر في حقل الأعشاب الطويلة ولم يكن يسمع في الأرجاء سوى صوت أقدامهما وهي تكسر بعض الأغصان الجافة على الأرض حتى توقف (سعود) وقال بتوتر : هل سمعت؟!

(تركي) متوقفاً هو الآخر : سمعت ماذا؟

(سعود) محركاً نور الكشاف خلفهما بارتباك : شيء ما أصدر صوتاً! .. أنا واثق!

(تركي) بهدوء متهكماً : إن كنت لا تستطيع تمالك نفسك يمكنك العودة والبقاء مع النساء

(سعود) بانفعال : أقسم أني سمعت شيئاً يشبه وقع الأقدام يسير وراءنا!

(تركي) زافراً مديراً كشافه للخلف هو الآخر ويتململ : أين؟

(سعود) مشيراً بيده الحاملة للكشاف : هناك! .. هناك شيء يتحرك
بين الأعشاب!

(تركي) باحثاً بنور كشافه ممعناً النظر : لا أرى شيئاً ..

(سعود) : أشعر بأننا مراقبان

(تركي) : لا يوجد شيء كف عن التوهم

(سعود) بتوتر شديد موجهاً سبابته الراجفة حيث كان ضوء كشافه
مسلطاً : انظر!

شاهد (تركي) عينين تلمعان بوهج أحمر عندما وجه كشافه حيث أشار
(سعود) وقال وقد بدأ ينتابه الخوف : هل هذا ذئب أم كلب؟

قبل أن يجيب (سعود) بأي تكهن سمع الاثنان صوتاً يشبه الصوت
الذي تحدثه السيارات عندما تلف إطاراتها بسرعة وتحتك بالأرض
تبعه اندفاع لذلك المخلوق بسرعة نحوهما صاحبه صراخ حاد مما أثار
فزعهما ودفعهما للجري هرباً من المكان ولأن ذلك الشيء كان يقف
في طريق عودتهما نحو المخيم قاما بالجري في الاتجاه المعاكس متعمقين
أكثر في الحقل العشبي.

لم يتوقف أي منهما عن الهرولة لأنهما تيقنا من تعقب ذلك المخلوق ذي
الأعين الحمراء لهما من خلال ذلك الصوت الغريب الذي كان يصدر

منه وبعد جري استمر عشر دقائق متصلة توقفا لالتقاط أنفاسهما لاهثين لعدم قدرتهما على الاستمرار.

(سعود) وهو بالكاد يستطيع الحديث : هل .. توقف .. عن ملاحقتنا؟

(تركي) مسنداً كفوفه على ركبتيه : لا أعرف لكني لا أستطيع الجري أكثر!

(سعود) ملتفتاً خلفه بوجه متعرق : أعتقد أنه استسلم وتراجع .. الصوت توقف قبل فترة

(تركي) جالساً على الأرض لانهيار قواه : ما الذي كان يلاحقنا من الأساس؟ .. هل سمعت حيواناً يصدر مثل هذا الصوت من قبل؟

(سعود) وعيناه المرتبكتان تجولان مستكشفتين المنطقة المظلمة حولهما بالكشاف :

«لا .. ولا أريد معرفة ما هو»

(تركي) ناهضاً : هيا لنلتف من حوله ولنعد للمخيم من الطرف الآخر

المنزلق المظلم



عاد (تركي) و(سعود) للمخيم حيث استقبلهما (حسام) الواقف عند المدخل ممسكاً بعصا خشبية طويلة وكان واضحاً عليه القلق الشديد وعند رؤيته لهما يقتربان جرى نحوهما وقال : «الحمد لله أنكما عدتما سالمين!»

(تركي) : ما بك؟ .. تبدو متوترًا .. هل حدث شيء في غيابنا؟

(حسام) وعيناه تحدقان جانباً : لقد سمعنا أصواتًا مخيفة حاصرتنا لفترة طويلة .. أصوات مزمجرة كالحيوانات المفترسة

(سعود) : هل تعرض أحد للأذى؟!

(حسام) : لا .. لكن عمتي (خلود) أصيبت بانهيار وبدأت تبكي بشدة

جرى (سعود) نحو الخيمة ودخلها ..

(تركي) : ماذا عن أمك هل هي بخير؟

(حسام) : لا تزال متماسكة .. ما الذي يحدث يا أبي؟

(تركي) : لندخل أولاً ثم سنتحدث

(حسام) : حسناً .. سألحق بك بعد ما أشعل ناراً أمام مدخل الخيمة

رفع (تركي) غطاء المدخل وشاهد (سعود) محتضناً زوجته المنهارة يطمئنها و(هدى) تقف بجانبهما بوجهٍ حزين وقلق وما أن رأت زوجها حتى جرت نحوه قائلة :

« يجب أن نرحل من هنا في الحال! .. المكان ليس آمناً! »

(تركي) ونظره على (خلود) : سنرحل لكن ليس قبل الصباح ..

(هدى) : ولِمَ لا نرحل الآن؟!

(تركي) : كيف نقوم بذلك بدون سيارة؟ .. الخيار الوحيد أمامنا هو السير على أقدامنا لأقرب منطقة مأهولة وذلك لن يكون ممكناً إلا في

النهار .. سننام ونتحرك قبل الإشراق كي نكسب الوقت

(هدى) : ومن سيأتيه النوم في هذا الوضع ثم إننا نمنا لوقتٍ طويل ولن يأتينا النعاس بسهولة

(تركي) : لا تقلقوا .. اخلدوا للفراش فقط حتى لو لم تناموا وسأبقى أنا و(حسام) لنتناوب على الحراسة

(سعود) : أنا سأتناوب في الحراسة معكما

(تركي) : لا .. يجب أن تحصل على قسط كافٍ من الراحة

أوى الجميع إلى مضاجعهم واستلم (تركي) النوبة الأولى من الحراسة لكنه لم يخرج للخارج وبقي بجانب زوجته جالساً يتفحص الأوراق التي قطفها من الحقل الأخضر سابقاً. مضت ساعة وغط الكل في النوم وبالرغم من أن (تركي) لم يكن يشعر بالتعب إلا أنه شعر بنعاس شديد لم يستطع مقاومته خاصة بعد ما اندس في حقيبة نومه طلباً للدفء من البرد الذي هب في المكان فجأة. بعد فترة زمنية مجهولة فتح (تركي) عينيه وشاهد أن النهار قد حل من خلال النور المخترق لبعض شقوق الخيمة فنهض وأيقظهم جميعاً وقال :

« فليجهز كل منكم حقيبة بسيطة وخفيفة واتركوا بقية الحاجيات .. لا

تأخذوا سوى الزاد والماء فقط فأمامنا رحلة سير طويلة ..»

(سعود) : وهل سنصل لهدفنا قبل الغروب؟

(تركي) : ما أنا متيقن منه هو أننا سنبتعد عن هذه المنطقة قبل حلول الليل وهذا هو الأهم

(خلود) وهي تغلق حقيبتها : هيا كي لا نخسر المزيد من الوقت .. لم أعد قادرة على تحمل البقاء هنا أكثر

بعد ما انتهى الجميع من أخذ لوازمهم رفع (حسام) غطاء باب الخيمة وبدؤوا يخرجون واحداً تلو الآخر وعند استقرارهم عند مدخل الخيمة لم يتحركوا خطوة واحدة وبقوا يتأملون المنظر أمامهم مبهورين فقد شاهدوا صحراء رملية خاوية ..لا مبانٍ ولا زرع ولا حتى حجر واحد.

(هدى) برهبة شديدة : أين نحن؟

(تركي) رافعاً رأسه للأعلى ناظراً لقرص الشمس الملتهب في السماء الصافية :

«ما يحدث لا تفسير له..»

(سعود) : هل سنتحرك الآن؟

(خلود) : نتحرك إلى أين وبأي اتجاه؟! .. هل ترى ملامحَ أو تضاريس يمكن أن نسير نحوها أو نستعين بها لمعرفة مكاننا؟!

(حسام) : المكان خالٍ تماماً

(تركي) رافعاً سبابته مشيراً أمامه : ليس خالياً بالكامل

وجه الجميع أنظارهم حيث أشار (تركي) وشاهدوا في الأفق النصب الحجري الذي ذبحوا عليه الخروف لا يزال مكانه ..

(سعود) بتعجب : لِمَ لم يختفِ هو الآخر مع بقية الآثار؟

قبل أن يجيب أحد عليه سمعوا صوت تحرك الخيمة وراءهم فالتفتوا جميعاً في وقتٍ واحد ليروا طرف باب الخيمة يهبط موحيًا بأن أحداً قد دخل وسطها.

شد (حسام) على العصا التي أمسك بها وهم بالتقدم لاستكشاف الأمر لكن أمه تشبثت به ومنعته ..

مد (تركي) يده وأخذ العصا منه وسار ومن خلفه (سعود) بحذر حتى

وصلا لفتحة الخيمة ورفعا الغطاء وشاهدا ما بدا لهما كامرأة بدوية تجلس متربعة وسط المكان مديرة ظهرها لهم.

(خلود) بصوت خفيض وهي تُطل برأسها لوسط الخيمة : «ماذا تفعل هذه المرأة هنا؟»

(سعود) مشاركاً زوجته النظر : يبدو أنها من سكان المنطقة

(هدى) وهي تطل من فوق كتف زوجها : ربما تستطيع مساعدتنا وإرشادنا إلى طريقة للخروج من هنا

نادى (تركي) على المرأة وهو ممسك بيده العصا وباليد الأخرى ثبت قطعة قماش مدخل الخيمة وقال : «هل يمكننا مساعدتكِ؟!»

لم تجب المرأة وبقيت صامتة ..

(هدى) : ما العمل الآن؟

(حسام) محاولاً التفلت من قبضة (هدى) على ساعده : اتركيني يا أمي ودعيني أستوضح منها بنفسي

(هدى) بصرامة : لن تبرح مكانك!

(تركي) وهو يهم بالتقدم لوسط الخيمة : سندخل كلنا ..

دخل الجميع لوسط الخيمة وأحاطوا بالمرأة وتمكنوا من رؤية تفاصيلها بشكلٍ أوضح فقد كانت تلبس عباءة سوداء مطرزة بنقوش شعبية خضراء وأعينها بيضاء كالحليب وتحيط بها رائحة عفنة كاللحم النيء والتي أثارت غثيانهم خاصة وأن الجو وسط الخيمة أصبح رطباً وخالياً من نسائم الهواء لكن أكثر شيء أثار رعبهم هي القرون التي نبتت من رأسها والعين الثالثة على جبينها بالإضافة لمخالبها الطويلة.

كرر (تركي) المتأهب سؤاله عليها وقال : « من أنتِ؟ .. وماذا تريدين؟»

تحدثت بصوتٍ مبحوحٍ مخيف قائلة : «غاستموتونيب تدجيعابه .. يقكلني قبمسافرتل مليجبنن مقانهم هغيموتبن..»

(تركي) بتعجب : ماذا تقولين؟! .. بأي لغة تتحدثين؟!

حركت المرأة المقرونة رأسها ووجهت نظرها نحو (حسام) وقلبت عينيها البيضاوين وقالت : « تنهومن عتالاولفق ..»

نهضت المرأة من مكانها ونظرها لم يحد عن (حسام) ومع وقوفها أصيب الجميع بعجز كامل عن الحركة لكنهم لم يفقدوا القدرة على الكلام وبقوا يصرخون فيها وهم يراقبونها تسير بخطوات ثابتة نحو (حسام) حتى أصبحت أمامه وأخذت تداعب قسمات وجهه بأناملها الطويلة وتتأمله بأعينها الخالية من الحياة قبل أن تقبض على عنقه وتسحبه بسرعة خاطفة خارج الخيمة.

فقدت (هدى) بعد مشاهدة ذلك المشهد أعصابها وبدأت بالصراخ بشكل جنوني ولم تتوقف حتى شع وهج أبيض قوي وسط الخيمة مفقدًا الجميع وعيهم.

بعد مدة زمنية غير معلومة فتحت (خلود) عينيها ووجدت أنها والبقية مستلقون على أرضية الخيمة وبابها يتحرك ويرفرف بقوة وكأن عاصفة قوية تعصف بالخارج. الوقت كان ليلاً والبرد قارساً جدّاً لذا نهضت بسرعة لإغلاق باب الخيمة القماشي وربطه وتثبيته وخلال قيامها بذلك استيقظ (تركي) وأيقظ (سعود) الذي هم بإيقاظ أخته لكن زوجها منعه وقال: «دعها ترتحْ .. لا أريدها أن تستيقظ ولا تجد (حسام) حولها ..»

(خلود) وهي تجلس بجانبهما وبنبرة غاضبة ومكبوتة :

«هل يمكن لأحد منكما أن يشرح لي ما الذي يحدث لنا؟! .. من تلك المرأة التي خطفت (حسام)؟! .. ولماذا المكان يتغير في كل مرة ننام فيها أو نغفو؟! .. هل هذه المنطقة مسكونة؟!»

(سعود) بيأس وإحباط : لا فكرة لدي

(تركي) : أعتقد أن لدي فكرة عما يحدث لنا ..

(خلود) : ولِمَ أنت صامت؟! .. تحدث؟!

(تركي) : هي نظرية ولست متيقناً منها لكن ..

(خلود) : أياً كانت فهي أفضل من لا شيء! .. هيا تحدث!

(تركي) متوجهاً لإحدى زوايا الخيمة رافعاً طرف السجادة المغطية للسطح الرملي راسماً بسبابته بعض الرسومات ..

(سعود) محاولاً استراق النظر للرسمة : ماذا تفعل ..؟

(تركي) وهو مستمر بالرسم : هل تذكر عندما أخبرتك بأني أشك بأننا في زمن مختلف؟

(سعود) ناهضاً متوجهاً لزاوية الخيمة وزوجته من خلفه : نعم ..

(تركي) : نحن بلا شك لا نتحرك من مكاننا وكنت أظن أن الزمن يتقدم ويتأخر من حولنا بسبب اختلاف التضاريس وكذلك بسبب تلك الأوراق

(خلود) : أي أوراق؟

(تركي) مخرجاً الأوراق الخضراء التي قطفها سابقاً من جيبه : «هذه .. هل مر عليكِ من قبل مثل هذه الأوراق بحكم تخصصكِ؟»

(خلود) متفحصة الأوراق بأناملها : نعم .. لكن .. هذا نبات منقرض منذ ملايين السنين .. لقد درست عنه في الجامعة ولم أشاهده إلا في الرسومات

(تركي) مكملاً الرسم على الرمال : وهذا ما أعطاني إنطباعاً في البداية بأننا ننتقل في الزمن

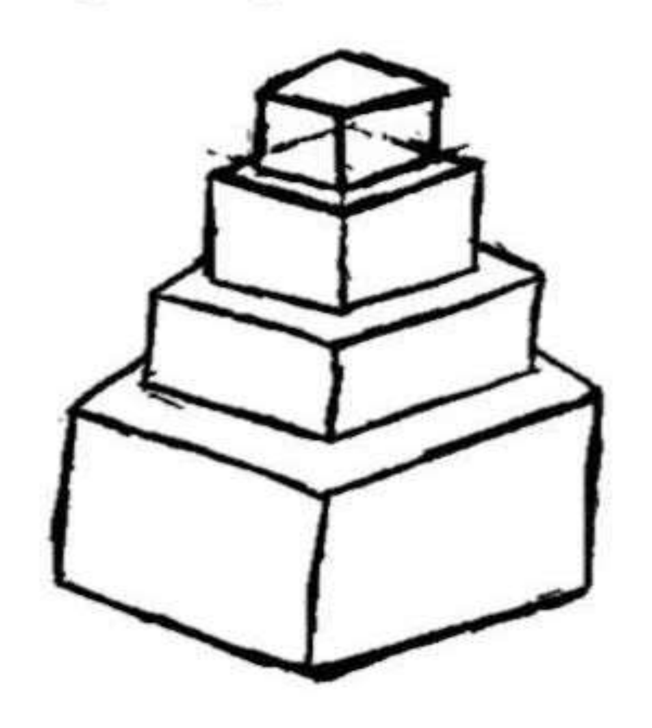
(خلود) : وما الذي غير رأيك؟ .. لعلك محق

(سعود) : هل تسمعان أنفسكما؟ .. انتقال عبر الزمن؟ .. هل حقاً تؤمنان بهذا الكلام؟

(تركي) مشيراً لهما بالنظر للرسمة التي رسمها على الرمال :

«لا .. فلم تعد تلك النظرية قائمة بعد انتقالنا الأخير ومشاهدة تلك المرأة الممسوخة ..»

وجه الاثنان أنظارهما للرسمة وتفحصاها ..



(سعود) : لا أفهم شيئاً من هذه الرسمة .. مجرد مجموعة من الصناديق

(خلود) وهي مصدومة وبنبرة مشبعة بالرهبة :

«هذه ليست صناديق .. نحن نتنقل بالفعل لكن ليس في الزمن كما قال أخي ..»

(سعود) : ننتقل عبر ماذا إذاً؟

(تركي) : عبر الأبعاد ..

(سعود) باستنكار : الأبعاد؟

(تركي) : هناك نظرية أننا كبشر نعيش في بعد من عدة أبعاد وعوالم أخرى تشغل البقعة الجغرافية والزمنية أنفسهما لكننا لا نرى بعضنا بعضاً

(سعود) : ما زلت لا أفهم كيف ننتقل لبعد آخر في المكان والزمان أنفسهما

(خلود) : تخيل عمارة سكنية بعدة طوابق .. كل طابق فيه شقة بالتصميم نفسه لكن أثاثها وديكوراتها تختلف وكذلك سكانها وقاطنوها وهؤلاء الناس لا يرون بعضهم بعضاً ولا يحتكون بعضهم ببعض ومع ذلك يعتبرون مقيمين على الأرض نفسها وفي الزمان نفسه

(سعود) بتهكم : ونحن نقيم في أي شقة منها؟

(تركي) : نحن الآن في المصعد .. ننتقل من طابق إلى آخر وليس لنا تحكم فيه

(سعود) : وكيف نعود لبعدنا أو شقتنا كما تقولان؟

(خلود) : هذا ما يجب علينا اكتشافه قبل أن نطرق باباً وندخل شقة ليس مرحباً بنا فيها

(سعود) : لو افترضت أن نظريتكما هذه صحيحة .. فكيف تركنا بعدنا ودخلنا هذا المصعد المتحرك؟

(تركي) : الخروف الذي ذبحناه ..

(سعود) : الخروف؟

(تركي) : نعم .. التداخل بين الأبعاد يستلزم محفزاً لإحداث فتحة مؤقتة بينها للولوج فيها ودم تلك الأضحية كان ذلك المحفز ..

(سعود) بنبرة غير مصدقة :

«كلامكما ضرب من الجنون .. لا بد من وجود تفسير آخر أكثر منطقية ..»

(خلود) : بل هذا هو التفسير المنطقي الوحيد لما يحدث وله أساس علمي حتى لو لم يكن مثبتاً

(تركي) سارحاً متفكراً : لقد فهمت الآن لَمَ كان لهذه المنطقة أهمية تاريخية وتعاقبت الحضارات على احتلالها وضمها لسلطتها .. ذلك النصب الحجري يملك قدرات خارقة تفوق فهمنا القاصر ونحن بطريقة ما قمنا بفتح بوابته ونجهل وسيلة العودة

(سعود) : وكيف سنكتشف تلك الطريقة للرجوع لبعدنا؟

(خلود) : ألم تلاحظا أمراً ما خلال تنقلنا؟

(سعود) : لاحظت أن الانتقال لا يحدث ونحن مستيقظون

(خلود) : نعم .. وليس هذا فقط

(تركي) : ماذا إذاً؟

(خلود) : النصب الحجري ..

(تركي) : ما به؟

(خلود) : في كل مرة ننتقل لبعد آخر يتغير كل شيء حولنا تقريباً ولا يوجد شيء ثابت سوانا .. و.. النصب

(سعود) : والخيمة

(خلود) : الخيمة ليست جزءاً من الأبعاد فهي المصعد كما اتفقنا

(سعود) : إلى ماذا ترمين؟

(خلود) : النصب كما كان وسيلة دخولنا سيكون وسيلة خروجنا .. النصب هو باب المصعد أو لوحة التحكم فيه

(تركي) : لو كانت افتراضاتنا صحيحة فنحن بحاجة لخروف آخر لنذبحه على النصب كي نحدث الثغرة نفسها

(خلود) : هل من الضروري أن يكون خروفاً؟

(تركي) : نظرياً لا .. القرابين يمكن أن تكون أي شيء حي

(سعود) : ألا تريان أنكما تتحدثان بجنون ..؟

(تركي) : نحن في وضع لا يقل جنوناً ويجب أن نتصرف بسرعة قبل أن نبحر أكثر وأكثر ونبتعد عن بعدنا

(خلود) : نحن متفقون إذاً

(سعود) : متفقون على ماذا؟

(تركي) : أن نجد حيواناً ما لننحره على النصب

(خلود) : ماذا عن (حسام)؟ .. هل سنعود بدونه؟

صمت (تركي) متفكراً بوجه حزين عندما أدرك أنه عاجز ولا يستطيع إنقاذ ابنه وخلال صمته استيقظت زوجته وقالت بصوت متعب : «أين (حسام) .. هل عاد؟»

نهضت (خلود) وسارت نحو زوجة أخيها وجلست بجانبها تمسح على ظهرها برفق حتى غفت مجدداً ..

(سعود) لـ (تركي) السارح بمخرج الخيمة بوجه متفكر : ما هي خطوتنا التالية؟

(تركي) : لا خيار أمامنا سوى استكشاف كل بعد حتى نجد كائناً يمكننا استخدامه كأضحية

(سعود) : لست مرتاحاً لفكرة تقديم القرابين هذه فهي أساس المشكلة.. ألا يوجد طريقة أخرى؟

(تركي) : إذا كان لديك خيارٌ آخر فأنا منصت

صمت (سعود) ولم يجب ..

سحب (تركي) حقيبته الملقاة بجانبه وأخرج منها سكينًا وكشافًا ثم نهض من مكانه وتوجه لباب الخيمة وبدأ بحل العقدة التي ربطتها (خلود) سابقاً فلما رأته يقوم بذلك قالت له :

«هل حقّاً تنوي الخروج؟»

(تركي) وهو مستمر بحل العقدة : لم يعد هناك وقت لنضيعه.. يجب أن نختبر نظرية تقديم القربان على النصب الحجري بأسرع وقت قبل أن نواجه مخاطر أكبر

(سعود) : لكنك تجهل ما ينتظرك في الخارج

(تركي) وقد حل العقدة الأخيرة ورفع جزءاً من القماشة المغطية للمخرج كاشفاً عن عاصفة ممطرة هوجاء في الخارج :

«لا ينهي ظلام الجهل إلا نور المعلومة وأنا ذاهب للبحث عنها .. يمكنك البقاء هنا لو رغبت ..»

(سعود) ناهضاً هو الآخر من مكانه : تعرف أني لن أفعل

خرج الاثنان وشقا طريقهما وسط العاصفة الممطرة بخطواتٍ مترنحة بسبب قوة الرياح العاصفة بأجسادهما وعند اقترابهما من مكان النصب الحجري تحدث (سعود) مع (تركي) بصوت مرتفع كي يسمعه : ما الهدف من العودة إلى هنا؟!

(تركي) وهو مستمر بالسير وبصوت مرتفع كذلك : أريد التحقق من أن النصب موجود بالفعل!

عند وصولهما وجدا النصب على حاله وفي مكانه فوقفا بجانبه لما يقارب الدقيقة قبل أن يعاودا السير نحو المخيم مستعينين بضوء كشافيهما اليدويين. كانت الرؤية شبه معدومة في تلك الأجواء العنيفة وفي منتصف الطريق خطف من أمامهما شيء أشبه بالظل أفزعهما للوهلة الأولى لكن (سعود) قال : أعتقد أن هذا (حسام)!

(تركي) : (حسام)؟! .. هل أنت واثق؟!

(سعود) موجهاً ضوء الكشاف جانباً مقتفياً أثر الشيء الذي مر من أمامهما : نعم!

(تركي) منادياً عليه : انتظر! .. إلى أين أنت ذاهب؟!

خلال لحظات قصيرة فقد (تركي) أثر (سعود) في تلك العاصفة القوية لكنه قرر عدم العودة بدونه ووسع دائرة البحث أكثر حتى لمح نورًا على بعدٍ منه ومع تقدمه نحوه أدرك أنه كشاف (سعود) ملقى على الأرض فحرك كشافه يميناً وشمالاً منادياً عليه لكنه لم يتلقَّ أي إجابة. التقط (تركي) الكشاف وأمسكه باليد الأخرى وأكمل بحثه وبعد سير قصير شاهد منظراً أفزعه وسط تلك الأجواء العاصفة.

شاهد تلك المرأة التي خطفت (حسام) متقرفصة أمامه بجسد عارٍ وجلد أحمر وذيلها الطويل ذو الرأس الأصفر يتراقص في الهواء. ما أن انتبهت لنور كشافه حتى وقفت واستدارت نحوه وحنت جسدها قليلاً للأمام وكأنها في وضع استعداد للانقضاض مكشرة عن أنياب طويلة محركة أصابعها ومخالبها الأطول مصدرة صوتاً يشبه صيحات الأطفال الصغار الحديثي الولادة. لم ينتظر (تركي) حتى تنقض عليه واستدار هو الآخر وجرى بكل ما أوتي من قوة بالرغم من أنه لم يكن

يعرف الاتجاه المؤدي للمخيم لكنه كان يريد الابتعاد عنها قدر الإمكان
ومع ذلك لم ينسَ (سعود) وبقي ينادي عليه بأعلى صوته خلال هربه
ومهما نادى وبحث عنه لم يتمكن من إيجاده أو تحديد الاتجاه الذي
سلكه مما اضطره أخيراً للعودة للمخيم عندما لمح معالمه تلوح في
الأفق على أمل أنه سبقه وعاد إلى هناك لكن آماله تبددت عندما دخل
واستقبلته أخته بسؤالها له : «أين (سعود)؟»

المداخل المتداخلة



بعدما تجاوزت (خلود) نوبة الحزن والفاجعة التي أصابتها عندما تيقنت أن زوجها قد تاه في العاصفة قررت الخروج والبحث عنه بنفسها لكن أخاها منعها بحجة أن الأمر ميئوس منه خاصة وأن الأجواء ازدادت سوءاً لدرجة أن الخيمة أخذت تهتز بقوة وكادت تقلع من أطنابها دون إخبارها عن السبب الحقيقي لمنعها وهو وجود تلك المرأة الشيطانية المقرونة في الخارج لكنها قاومت وحاولت التملص منه عنوة مما دفعه لإرغامها على الجلوس وهي تبكي بحرقة.

استيقظت (هدى) من سباتها وشاهدت ذلك المشهد المربك ودخلت

هي الأخرى في حالة من البكاء والنواح شتتت تركيز (تركي) مما دفعه لنهرهما قائلاً :

«كفى! .. هذا ليس وقت البكاء! .. إذا لم نتماسك ونستجمع أنفسنا فلن نخرج من هنا أبداً!»

(خلود) صارخة فيه باكية : وهل ما زلت تعتقد أننا سنخرج من هذا المكان اللعين الذي جلبتنا إليه؟! .. أنت السبب في كل ما يحدث لنا!
لم يرد (تركي) على أخته المكلومة واكتفى بالوقوف عند المخرج بعد ما عقد عقدة قوية لإحكام إغلاقه لمنعها من أي محاولة مباغتة للخروج وبقي على تلك الحالة حتى خلدت للنوم من التعب ثم التفت إلى زوجته المنزوية والمكتئبة في إحدى زوايا الخيمة وقال لها وهو يسمع العاصفة تهدأ في الخارج والمطر يتوقف : «سنخرج من هنا .. أعدكِ بذلك ..»

(هدى) سارحة أمامها بأعين محمرة : أريد أن يعود ابني لي فقط ..

(تركي) : سيعود .. حاولي أخذ قسط من الراحة

(هدى) ملتفتة نحو زوجها بأعين دامعة ووجه مشبع بالهم والحزن: راحة .. عن أي را..

انقطع حديثها عندما امتدت يد حمراء بمخالب سوداء طويلة من

أسفل رواق الخيمة خلفها وقبضت على شعرها وشدتها بقوة وسحبتها للخارج وهي تصرخ مستنجدة. صعق (تركي) من هول ما شاهده وبدأ يحل عقدة مخرج الخيمة بجنون وخرج جرياً متوجهاً لخلف الخيمة بحثاً عن زوجته لكن لم يجد لها أو للشيء الذي سحبها أي أثر وبقي يتلفت بتوتر شديد في حيرة من أمره أي اتجاه يسلك للبحث عنها حتى سمع صرخة منها قادمة من المنطقة التي استقر فيها النصب الحجري فجرى نحوه بسرعة مشعلاً كشافه الضوئي.

وصل (تركي) عند النصب ووجه نور الكشاف عليه وشاهد زوجته من الخلف وهي جالسة على الأرض في وضع السجود وكفوفها ملتصقة بأذنيها وتئن متوجعة. دنا منها حذراً من هجوم تلك القرناء ووضع كفه على ظهرها وقال بصوت خفيض مطمئن:

«هل أنتِ بخير؟ .. هل أصابكِ مكروه؟»

رفعت (هدى) جذع جسدها وجلست دون أن ترفع كفوفها من على أذنيها فوجه (تركي) الكشاف على وجهها ليصدم بمنظر مرعب. رأى أن فمها قد خيط بالكامل وعينيها قد ربطتا بخرقة قماشية وخلال تحديقه بذلك المشهد المزعج أنزلت يديها كاشفة عن أذنيها المبتورتين وكأن من خطفها قد قام بنزع جميع حواسها منها. قبض (تركي) على

معصمها في محاولة لرفعها وحملها نحو الخيمة لكنها ما أن أحست بيده تلمسها حتى دخلت في حالة هستيرية من الصراخ والأنين المكتوم فظهرت على أثرها أعين حمراء من فوق النصب صاحبها زمجرة أشبه بصوت الكلاب المسعورة فوجه نور الكشاف نحو مصدر الصوت ليرى تلك المرأة القرناء متقرفصة فوق سطح النصب وذيلها الأحمر ذو الرأس الأصفر يتراقص خلفها.

بالرغم من الفزع الذي أحس به إلا أنه لم يستطع ترك زوجته والهرب فحاول مرة أخرى وقبض على ذراعها وشدها بقوة وأوقفها وهذه المرة استجابت له وجرت معه وخلال هرولتهما نحو المخيم سمع صوت المرأة الشيطانية تزأر من خلفهما وصوتها لم يكن يبتعد مع تقدمهما بل كان يقترب أكثر وأكثر فالتفت وراءه موجهاً الكشاف دون أن يتوقف ليرى أنها تلحق بهما لكن ليس جرياً بل شاهد جناحين قد نبتا لها وقد بأت تحلق فوقهما.

وصل الاثنان أخيراً لمدخل الخيمة وقبل دخولهما ارتفعت أقدام (هدى) من على الأرض بعد ما غرست الشيطانة مخالبها في كتفيها وحلقت بها للأعلى بسرعة خاطفة تاركة (تركي) يصرخ فيها بخليط من السخط والبكاء الأليم.

دخل (تركي) المرهق لوسط الخيمة واضعاً كفه على جبينه وهو يشعر بأن ثقل الدنيا يحط على أكتافه وحزنها يملأ صدره فنزل على ركبتيه واستلقى عند المدخل محتضناً حقيبته القماشية مغمضاً عينيه اللتين تسللت منهما الدموع.

أحس بعد فترة بيد تهز كتفه وتوقظه برفق وما أن باعد بين أجفانه حتى رأى أخته (خلود) تتبسم له بوجه مرهق منار بأشعة الشمس القادمة من فتحة المدخل قائلةً له :

«هل نمت جيداً ..؟»

نهض (تركي) داعكاً النعاس من عينيه بقبضته : هل حدث شيء خلال نومي؟

(خلود) بنبرة هادئة ومطمئنة تخللها بعض الحزن : أريدك متماسكاً .. هل تفهمني؟

(تركي) معتدلاً في جلسته : ماذا تقصدين؟

(خلود) : (هدى) .. استيقظت ولم أجدها ..

(تركي) بحزن : أعرف .. لقد أخذتها ..

(خلود) منزلة رأسها بخيبة : متى حدث ذلك؟

نهض (تركي) رافعاً حقيبته : البارحة بعد ما غفوتِ

(خلود) بثقة وصرامة وهي ترفع حقيبتها وتقف أمام أخيها : حسناً سنخرج ونبحث عنها معاً

(تركي) بنبرة يائسة : لا أظن أنها ستعود .. لقد لحقت بـ (حسام) و(سعود) وقريباً سيكون مصيرنا مثلهم

(خلود) : أنا لم أيأس بعد .. سنبحث عنهم ونجدهم

تقدمت (خلود) وخرجت قبله رافعة غطاء المخرج لأخيها الذي تبعها وشاهد معها أن المنطقة تحولت لجنة خضراء ملئت بالأشجار المثمرة توسطها بحيرة زرقاء جميلة والجو كان معتدلاً مائلاً للبرودة والسماء غائمة لكنها لم تحجب نور الشمس بالكامل.

بالرغم من جمال المنظر إلا أنهما شعرا ببعض الإحباط لأن عملية البحث أصبحت أكثر مشقة فالغابة الكثيفة التي وجب عليهما استكشافها امتدت على مد بصرهما مما عنى أنهما سيتيهان فيها لا محالة.

(خلود) بتساؤل وهي تتأمل الغابة الكثيفة : هل نمضي بخطتنا في البحث؟

(تركي) بنبرة محبطة لامحاً طرف النصب الحجري ظاهراً من خلف مجموعة أشجار :

«ألا ترين ما هو قابع أمامنا؟ .. سوف نتيه من أول خطوة وقد لا نجد طريق العودة للمخيم»

(خلود) : يمكننا أن نستعين بالشمس لتحديد وجهتنا

(تركي) رفعاً رأسه للأعلى : الأشجار عالية جدّاً وسنفقد الرؤية بعد دخول ذلك المسطح الأخضر الكثيف ثم إن خطواتنا ستكون أبطأ وسيحل الليل قبل أن نخرج من حدودها ولا تنسي احتمالية وجود تلك المتربصة بنا وسطها .. الأمر مستحيل

(خلود) : أنا رهن إشارتك يا أخي .. ماذا تريد أن نفعل؟

(تركي) : لا أعرف .. حقيقة لا أعرف ..

بقي الاثنان صامتين لعدة دقائق حتى تحدثت (خلود) وقالت : لدي فكرة

(تركي) ملتفتاً إليها : فكرة ماذا؟

(خلود) : لقد تحققنا الآن من فرضية الانتقال عبر الأبعاد ولم يعد هناك مجال للشك فيها أليس كذلك؟

(تركي) : بلى صحيح

(خلود) : ولو كان مثال العمارة السكنية والمصعد الذي ضربته لـ

(سعود) نظرياً صحيحاً أيضاً فقد تكون هناك فرصة لنا لإيجاد بعدنا والعودة إليه

(تركي) : كيف ..؟

(خلود) : ماذا يحدث عندما يبلغ المصعد الطابق الأخير؟

(تركي) بوجه متفكر : يبدأ بالنزول ..

(خلود) : بالضبط .. كل ما علينا القيام به هو المرور بكل الأبعاد حتى نصل لآخرها وبعدها ستتكرر العملية نهاية ببُعدنا

(تركي) : نحن نجهل عدد الأبعاد الموجودة .. ماذا لو كان هناك عدد لا متناهٍ منها؟ .. سنبقى نسير في خطٍّ مستقيمٍ إلى الأبد

(خلود) : هذا لو افترضنا أن العملية منظمة .. قد تكون عشوائية ونصادف بعدنا بعد عدة محاولات

(تركي) : حتى لو كان كلامكِ صحيحاً .. فعملية الانتقال من بعدٍ لآخر تستغرق يوماً كاملاً ونحن لا نملك رفاهية الوقت أو حتى الماء والغذاء اللازم لقطع مثل هذه الرحلات .. لقد اختفى كل شيء جلبناه معنا ولم يبقَ سوى الحقائب التي على ظهورنا

(خلود) : معامل الزمن حاسم في تعجيل عملية الانتقال .. إذا كسرناه

رجناه من المعادلة فسوف نغطي عدداً أكبر من الأبعاد وبالتالي
د فرص مرورنا ببعدنا الخاص

(تركي) : لم أفهم

(خلود) : نحن ننتقل عندما ننام أو نفقد الوعي أليس كذلك؟

(تركي) : بلى ..

(خلود) : معالجة هذا الأمر سهلة

(تركي) : بمَ تفكرين؟

سارت (خلود) نحو شجيرة ذات أوراق خضراء طويلة وقطفت إحداها وقالت وهي تتفحص الورقة بين أناملها : «بأن نختار بأنفسنا متى ننتقل ..»

(تركي) وهو يقف بجانب أخته : كيف؟

(خلود) رافعة الورقة أمام نظره : أوراق هذه النبتة تحتوي على مخدر قوي ولو تناولنا كمية معينة منها فسوف نغط في النوم مباشرة

(تركي) باستنكار : ثم ماذا؟

(خلود) : ألا تفهم؟ .. لن نضطر للانتظار في كل مرة نستيقظ فيها حتى ننام مجدداً .. سوف ننتقل بين الأبعاد بشكل أسرع حتى نجد بعدنا

(تركي) : وماذا عن تأثير ذلك المخدر على صحتنا؟ .. كم مرة نستطيع تكرار هذه العملية قبل أن نلحق الضرر بأجسادنا؟

(خلود) : أي ضرر سينجم عنها لن يقارن بالمخاطر التي سنواجهها من قضاء يوم كامل في كل بعد قبل أن يغلبنا النعاس .. ما رأيك؟

(تركي) بتردد : وكيف نعرف الكمية المناسبة؟

بدأت (خلود) بقطف المزيد من الأوراق ووضعها في حقيبتها بعد ما أفرغتها بالكامل محتفظة بالكشاف فقط في جيبها :

«ورقتان في كل مرة ستكونان كافيتين لإحداث الخدر المطلوب خلال ثوانٍ معدودة لكن يجب علينا أن نملأ حقائبنا بما يكفي منها لعدة رحلات لأننا قد لا نصادفها مرة أخرى ..»

(تركي) واضعاً الكشاف والسكين في جيبه مفرغاً محتوى حقيبته على الأرض :

«سنرى نهاية فكرتك هذه ..»

عاد الأخوان لوسط الخيمة وجلسا متقابلين على الأرض وقبل أن يهما بتناول الأوراق قال (تركي) : قبل أن نبدأ .. لدي تساؤل يثير فضولي منذ أن طرحنا فكرة التنقل بين الأبعاد

(خلود) : ما هو؟

(تركي) : لِمَ لا يحدث الانتقال إلا حينما نغفو وسط الخيمة؟ .. أقصد ..
قد يكون خلاصنا هو بمحاولة النوم خارجها .. لا أدري .. أتساءل فقط
ماذا سيحدث لو غفونا خارج الخيمة وليس داخلها؟

(خلود) : سيحدث لنا ما سيحدث لأي شخص يقفز من مصعد
متحرك

(تركي) واضعاً ورقة خضراء في فمه : فهمت ..

تناول كل منهما ورقتين حسب توجيه (خلود) وخلال ثوانٍ شعرا بالدوخان واستلقيا على الأرض وغطا في نوم عميق. فتح (تركي) عينيه ورأسه مسند على الأرض ليرى أن الوقت كان ليلاً وأخته لا تزال نائمة أمامه فقام بإيقاظها وما أن استيقظت حتى قالت : «هل نجحت الفكرة؟»

(تركي) موجهاً نظره لمدخل الخيمة المغلق مشعلاً كشافه :
«لنخرج ونرَ إن كانت تلك الغابة الكثيفة قد اختفت ووقتها سنعرف ..»

خرجت (خلود) ومن خلفها أخوها في محاولة للتحقق من أنهما قد ولجا البعدِ مختلف لكن وبسبب الظلمة الحالكة وغير الطبيعية في المكان لم يتمكنا من التيقن مباشرة من ذلك حتى مع نور كشافيهما الموجهين أمامهما.

(خلود) : شعور غريب .. وكأننا دخلنا غرفة مصمتة ومفرغة من الضوء

(تركي) محركاً كشافه يميناً ويساراً : ما يحدث مستحيل فيزيائيّاً .. مسار الضوء لا يتجاوز بضعة أقدام

(خلود) : لنعد للخيمة .. هذا ليس بعدنا السابق .. لقد نجحت الخطة

(تركي) متقدماً بضع خطوات للأمام : لا .. يجب أن نتحقق

(خلود) ناهية أخاها عن التقدم بصوت ساخط ومكظوم : عد يا (تركي)! .. الظلام حالك وقد لا تجد طريق العودة!

بعد عدة أمتار بسيطة من سير (تركي) انقطع صوت أخته التي كانت مستمرة بالمناداة عليه فجأة وكأن أحداً قد كتم الصوت بجهاز تلفاز أو مذياع. التفت وراءه موجهاً كشافه نحو الطريق الذي أتى منه وقال منادياً : (خلود)! .. هل تسمعينني؟!

لم يتلقَّ (تركي) أي إجابة بالرغم من أنه لم يبتعد كثيراً فقرر العودة أدراجه والسير على خطواته أنفسها لكن وبالرغم من تقدمه أكثر وأكثر وقضائه وقتاً أطول من الذي أمضاه في الابتعاد عن المخيم لم يتمكن من إيجاده وأدرك أنه قد تاه وأن ذلك السواد قد ابتلعه.

بعد مرور ما يقارب الساعة من التجول بلا دليل أو وجهة في ذلك

الجحيم المعتم تمكن شعور الاحتجاز الخانق منه وأحس بأن أنفاسه نضيق وما زاد الأمر سوءًا هو الهدوء الصارخ المحيط به فلم يكن يسمع سوى صوت أنفاسه الثقيلة ودقات قلبه المتوترة الطارقة على صدره كالطبل لكن إحساسًا آخر انتابه بعد فترة وجيزة وهو أن شيئاً أشبه بالريشة الناعمة مر ومسح على كاحله فقفز على أثرها جزعاً وصارخاً : «من هنا؟!»

تكرر ذلك الإحساس مرة أخرى على ظهر عنقه تبعها جبينه ومناطق متفرقة على جسده أفقدته صوابه ودفعته للتلويح بالكشاف بعنف محاولاً ضرب من كان يعبث معه وخلال ذلك حدث تماس في البطارية وانطفأت الشمعة وحل السواد الكامل. عندما حدث ذلك شعر (تركي) بشعور غريب في أذنيه. شيء يشابه ما يحس به المسافر على الطائرة عندما تقلع ويختلف ضغط الهواء.

بدأ بعدها يسمع صوتاً آخر غير أنفاسه ودقات قلبه .. سمع بعض القهقهات الجنونية آتية من عدة اتجاهات ومن مسافاتٍ متفاوتة. جرى (تركي) فزعاً من تلك الأصوات المرعبة وكان يستطيع سماعها وهي تلحق به مستمرة بالضحك والقهقهة بشكلٍ مرعب.

لم يتوقف عن الهرولة في الظلام الدامس بالرغم من أن قواه خارت

بسرعة حتى سمع صوت (خلود) تنادي عليه من بعد مما شتت انتباهه لتتعثر قدمه ويسقط منكبّاً على وجهه ويسقط معه الكشاف الذي وما أن ارتطم بالأرض حتى أخذ يرمش بشكل متقطع قبل أن يتوقف مضاءً على وجه (تركي) الذي ارتسمت عليه علامات الدهشة والتعجب لأنه لاحظ أنه خلال رمش ضوء الكشاف بين النور والظلام كان صوت (خلود) يتقطع ويتذبذب تزامناً مع الرمش فأدرك أنه مع وجود الضوء يلغى الصوت في المكان وقد ربط ذلك ببدء سماعه تلك الأصوات المخيفة بعد تعطل الكشاف مباشرة.

التقط (تركي) الكشاف ونهض بسرعة وأطفأه وأخذ ينادي بكل قوته على أخته التي جاوبته من مسافة بعيدة على يمينه قائلة: «أين أنت؟!.. هل تستطيع سماعي؟!»

(تركي) مهرولاً تجاه مصدر الصوت منادياً عليها: استمري بالصراخ ولا تتوقفي!

اقترب صوت (خلود) أكثر وأكثر كلما تقدم أخوها نحو نداءاتها وقبل أن يصل إليها عاد شعور لمسات الريشة على أجزاء جسده بشكل مكثف وأكثر من السابق لكنه تجاهله واستمر بالجري فتحولت اللمسات الناعمة للسعات محرقة تطورت للدغات مؤلمة وكأن سكيناً

حادة تخدشه لكن (تركي) تحامل على نفسه وأخذ يصرخ ويجري ولم يتوقف حتى وقع في حضن أخته التي عانقته بقوة وسحبته للخيمة بسرعة.

بعد دخولهما مباشرة وسقوطهما على أرض الخيمة نهضت (خلود) على عجالة وربطت العقدة وأغلقت باب الخيمة ثم استدارت نحو أخيها الذي امتلأ جسده بعدد كبير من الجروح المتفرقة وقالت بعصبية وأنفاس متسارعة :

«ماذا تظن نفسك فاعلاً؟!»

(تركي) وهو مرهق من الجري متحسساً جرحاً نازفاً على رقبته : عن ماذا تتحدثين؟

(خلود) بحنق وغضب : عن مغامرتك الصغيرة للتو؟! .. لا يصح أن تسير هكذا بمفردك كلما طرأ ذلك في بالك! . .نحن لسنا في نزهة!

(تركي) ماسحاً أنامله الملوثة بالدماء على ملابسه : أعترف بأني كنت متهوراً .. حسناً أعتذر

تحول سخط (خلود) لهمٍّ قابض وتبدلت ملامحها المتجهمة إلى رغبة قوية بالبكاء لكنها سارت وجلست أمام أخيها زافرة بحنق ودموعها تتساقط مخرجة ورقتي مخدر من حقيبتها وهي تُتمتم لنفسها متذمرة : أحمق! .. أحمق!

(تركي) : هل يمكن أن نرتاح قليلاً قبل تناول المزيد من المخدر .. أشعر بالغثيان

قبل أن تجيب (خلود) عليه سمع الاثنان صوت تلك القهقهات الجنونية تصدر وتصدح حول الخيمة من عدة زوايا فقال وهو يمد يده في حقيبته : انسي ما قلته ..

بعد تناولهما للأوراق المخدرة مجدداً ودخولهما في غفوة أخرى امتدت لفترة زمنية مجهولة استيقظا منها في اللحظة ذاتها تقريباً وكان الوقت نهاراً لكن الشمس لم تكن قوية وأوحى نورها بأنه نهاية العصر أو بداية الفجر لكنهما لم ينهضا من مكانهما مباشرة وبقيا مستلقيين على ظهورهما يتحدثان.

(تركي) ونظره لسقف الخيمة : أشعر بالإرهاق

(خلود) وهي على الحالة نفسها : يجب أن نستمر بالبحث لا خيار آخر أمامنا

(تركي) : إلى متى؟ .. إلى أن يفقد واحد منا حياته في أحد تلك الأبعاد

(خلود) : لن يحدث ذلك لو وضعنا خطة واستراتيجية واضحة لاستكشافها وخففت أنت من تهورك واندفاعك

جلس (تركي) ووجه نظره لأخته المستلقية بجانبه وقال : وما هي تلك الاستراتيجية؟

(خلود) ناهضة من مكانه حاملة حقيبتها على ظهرها : أن يخرج واحد منا فقط ويبقى الآخر بانتظاره عند مدخل الخيمة .. لو كنت قد خرجت معك في البعد السابق لتهنا معاً ولم تتمكن من العودة مستعيناً بصوتي

(تركي) : وإذا لم يعد من خرج للاستكشاف؟

(خلود) سائرة نحو فتحة الخروج : يكمل الآخر الرحلة وحده ..

خرجت (خلود) وألقت نظرة على البعد الجديد ووجدت أنه لا يختلف كثيراً عن بعدهم الأصلي فتفاءلت بأن احتمال عودتهما قد تحقق أخيراً لكن وبعد عدة خطوات للأمام لاحظت أن ظلها قد تفرع لأكثر من نسخة حولها في عدة اتجاهات فرفعت رأسها للسماء لتشاهد خمس شموس مشرقة ومع ذلك كان الجو معتدلاً وليس حاراً.

(تركي) من ورائها : هل هذا هو بعدنا؟

(خلود) عائدة للخيمة : لا .. هيا لننتقل لبعدٍ آخر

البعد التالي الذي انتقلا إليه فاجأهما بعض الشيء فبمجرد خروجهما من الخيمة شاهدا المياه تحيط بهما من جميع الاتجاهات وكأن مخيمهم جزيرة صغيرة وسط بحرٍ واسع استقرت فوقه سماء خضراء خالية من الغيوم أو الكواكب بالرغم من أن المنطقة مضاءة بنور لم يعرف مصدره

ولم يكن هناك إلا بضعة أمتار من اليابسة حولهما تشكلت برمال حمراء فاقعة كالدم.

راقب (تركي) أخته وهي تخرج وتسير فوق الرمال الحمراء نحو طرف الجزيرة الصغيرة ثم قال : «أعتقد أن هذا البعد محسوم ولا يستحق الاستكشاف ..»

(خلود) متأملة النصب الحجري وسط البحر : مهما تنقلنا يبقى هذا النصب مكانه وبالمسافة نفسها عن مخيمنا ..

(تركي) : أجد أنه الشيء الوحيد الذي يمنحنا نوعاً من الثبات كي لا نفقد عقولنا

(خلود) مرتشفة بعض الماء بكفها : الماء عذب ..

(تركي) بحماس : حقّاً؟!

(خلود) تمد كفها لأخيها : نعم .. تذوق بنفسك

جرى (تركي) وقفز في الماء محدثاً طرطشة كبيرة وهو يصرخ مبتهجاً : كم كنت أتوق للاستحمام!

(خلود) بقلق : خذ حذرك يا (تركي) فنحن لا نعرف ماذا يوجد هنا

(تركي) ملوحاً لها بالانضمام إليه : لا يوجد شيء سوى الانتعاش! .. تعالي!

(خلود) باسمة وعينها المترقبة تجول على سطح الماء : سآخذ غطسة سريعة بعد خروجك .. لا أريد المخاطرة

(تركي) غاطساً للأسفل : أنا لن أخرج بسرعة!

بقي (تركي) يستحم ويستمتع بالماء بينما جلست (خلود) على طرف الساحل الصغير تراقبه باسمة وقلبها متخوف من حدوث أمر مفاجئ لكن الوقت مضى ولم يحدث شيء فقررت الدخول بحذر للماء حتى بلغ مستواه عند خاصرتها وقامت بالاغتسال والشرب حتى الارتواء.

(خلود) لأخيها الطافي على ظهره فوق سطح الماء :

«ما رأيك أن نرحل الآن .. لا نريد استغلال حظنا السعيد أكثر ..»

(تركي) سارحاً بالسماء الخضراء : حظنا السعيد؟ .. لحظات السعادة القليلة التي حظينا بها الآن في الشرب والاغتسال لن تغسل الهم والحزن الأسود الذي انغمس فيه قلبي .. فرح زائف وابتسامة مصطنعة لن يغيرا شيئاً من واقعنا المر

(خلود) : لست وحدك الحزين لكني ما زلت أرفض الاستسلام

(تركي) وجسده يطفو صعوداً ونزولاً بهدوء فوق الماء ونظره للأعلى : وأنا أرفض الوهم ..

(خلود) باسمة : لم يبقَ لنا غيره أو أنك لم تلاحظ ذلك؟

(تركي) معتدلاً طافياً بأذرعه على سطح الماء محدقاً بأعين أخته :
«أرغب بتناول المخدر ليس للانتقال .. أرغب بذلك فحسب ..»
(خلود) : لا بأس .. هيا لنعد ونخرج من هنا
عاد الاثنان أدراجهما وقبل أن يصلا لطرف الساحل بعدة أمتار قليلة سمعا نداءً قادماً من وسط البحر خلفهما .. نداء خاطبهما بأسمائهما .. صوت بدا مألوفاً لديهما .. صوت (حسام) ..
(خلود) وهي مصدومة : هل هذا صوت ..؟
(تركي) بخليط من الارتباك والتوتر : نعم ..
(خلود) محاولة النظر في الأفق من حيث أتى الصوت : أسمعه ولا أراه .. أين هو؟

هم (تركي) بالعوم نحو مصدر نداءات الاستنجاد المستمرة لكن أخته قبضت على ذراعه ومنعته قائلة : انتظر! .. قد تكون حيلة ما!
(تركي) بعصبية : حيلة ماذا؟! .. ابني يستنجد بي ويجب أن أنقذه!
(خلود) بهدوء وعينها مرتكزة على مصدر الصوت البعيد : اسمعني يا أخي .. لا شيء هنا كما يبدو فلا تتوقع أن من ينادي علينا هو ابنك
(تركي) : وإذا كان هو؟! .. فهل سنتركه؟!
(خلود) : جرب أنت ونادِ عليه .. إن كان حقاً (حسام) فسوف يجيبك

نادى (تركي) على ابنه وما أن بدأ حتى توقفت استنجاداته ..

(تركي) : لقد سمعني ..

(خلود) بريبة : نعم .. لكن لمَ لم يرد عليك؟

(تركي) : ربما يساوره الشك نفسه الذي خالجنا

(خلود) : كيف وهو قد نادى علينا بأسمائنا؟ .. ألم أخبرك بأن الأمر مريب .. تجاهل الصوت وهيا بنا لنعودَ للخيمة

(تركي) وهو يصارع رغبته بين التقدم والعودة : لكن ..

قبل أن يتخذ (تركي) قراره نادى الصوت عليهما مرة أخرى لكنه هذه المرة لم يكن ابنه بل زوجته (هدى) وحينها أيقن بأن هناك خدعة ما وفخّاً منصوباً له ..

(خلود) : ألم أخبرك ..؟

(تركي) بحزن : متى ننتهي من هذا الكابوس ..؟

قررا بعدها السير نحو الخيمة وقبل دخولهما سمعا صوت الضحكات والقهقهات المخيفة قادمة من مكان النداء فتجاهلاها ودخلا للخيمة وتناولا العشبة وغطا في سبات جديد للخروج من هذا البعد.

رسالة من البعد البعيد



استمرت رحلات تنقل (تركي) و(خلود) من بعدٍ لآخر لأسابيع وتنوعت تلك الرحلات بين الخطرة والغريبة والاعتيادية الخالية من أي أحداث ومن وقتٍ لآخر كانا يتناولان بعض الطعام من الأشجار التي يصادفانها خلال تلك الرحلات لكنهما واجها مشكلتين رئيستين أولاهما مع الماء العذب الذي لم يصادفاه كثيراً ولم يملكا أي أوانٍ تمكنهما من حمله ونقله معهما، والمشكلة الثانية تمحورت حول أثر المخدر الذي بدأ يظهر على أجسادهما وعقولهما لدرجة أنهما بدأا يخلطان أحياناً بين الواقع والخيال مما اضطرهما للتوقف والمباعدة بين أيام تناوله لترك المجال لأجسادهما لاستعادة عافيتها والتخلص من سمومها وقررا تناوله فقط في حالة وجودهما في أبعاد محفوفة بالمخاطر وتجنبه في الأبعاد الأكثر أماناً كي يرحلا منها بسرعة مما أطال رحلتهما قليلاً.

تحولت الأسابيع لأشهر وتحول التنقل والاستكشاف روتينيًا بعض الشيء لدرجة أنهما فقدا الأمل بالعودة لعالمهما وأصبحا حريصين فقط على البقاء حيين أطول مدة ممكنة قبل أن يلاقيا حتفهما على يد تلك الشيطانة التي لم تنفك عن الظهور لهما ومطاردتهما معظم الوقت لكن ذلك كله تغير عندما ولجا نهار أحد الأيام في بعدٍ لم يريا فيه النصب الحجري في مكانه المعتاد مما أثار استغرابهما في بادئ الأمر ودفعهما للتخلي عن الحذر والسير معاً والوقوف فوق المكان المعتاد لوجوده بوجوه مستغربة.

(خلود) باحثة بنظرها من حولها في الصحراء الخاوية : هل تظن أن اختفاء النصب له دلالة ما؟

(تركي) مخرجاً فاكهة من حقيبته آخذاً قضمة منها : لم أعد أكترث ..

نزلت (خلود) على ركبتيها ومسحت بأناملها على الرمال متفكرة :

«هذا أول مؤشر خارج عن المألوف نصادفه منذ عدة أشهر يجب أن تتحمس ..»

(تركي) وهو يلوك قطعة الفاكهة بلا اكتراث :

«هل نسيتِ البعد الذي كان فيه كل شيء مصنوعاً من العظام واللحوم؟.. ذلك كان بحق خارجاً عن المألوف ..»

بدأت (خلود) الحفر بيديها العاريتين ..

(تركي) رامياً ما تبقى من قطعة الفاكهة جانباً : ماذا تفعلين؟

(خلود) وهي مستمرة بالحفر : ماذا يبدو لك أني أفعل؟

(تركي) : ما تقومين به هدر للوقت والجهد .. هيا لنعود للخيمة ونرتاح ونتناول العشبة

(خلود) : عد أنت إذا كنت تريد .. أنا سأستمر بالحفر لكن لا تنمْ كي لا ننفصل بعضنا عن بعض

(تركي) وهو يهم بالعودة : كما تشائين .. سوف أتجول قليلاً في المكان قبلها

أمضى (تركي) ما يقارب الساعة بين استكشاف المنطقة حولها بحثاً عن الماء والطعام وبين البقاء في الخيمة كي يرتب حاجياته والطعام الذي جمعه خاصة وأن حقيبته توفر فيها بعض المساحة بعد تناقص عدد الأوراق المخدرة فيها.

خلال قيامه بذلك شع نور الشمس وسط المكان عندما رفعت (خلود) القطعة القماشية المغطية للمدخل فوجه نظره نحوها ورآها تبتسم له وتقول :

«تعال وشاهد ماذا وجدت ..»

تبع (تركي) أخته حتى وصلا لحفرة كبيرة استقر فيها الجزء العلوي من النصب الحجري وعند رؤيته له قال: لقد وجدتِ النصب..

(خلود) ونظرها على الحفرة والعرق يتصبب من جبينها: لقد كان مكانه لكنه مطمورٌ تحت الرمال

(تركي) بتهكم: وما الفائدة من هذا الاكتشاف؟

(خلود): أعتقد أنها إشارة

(تركي): إشارة لأي شيء؟

(خلود) رافعة رأسها: «إلى أننا يجب أن نحفر أكثر.. ليس هنا فقط بل في عدة أماكن..»

(تركي): أعتقد أنك تبالغين بتحليل هذه المصادفة..

(خلود): نحن نجول بين الأبعاد لعدة أشهر ولم نتوصل لشيء ولم نجد مخرجاً.. ربما العيب في طريقة استكشافنا لها.. نحن لا نبذل جهداً يذكر للبحث عن الأدلة التي قد تساعدنا وتقودنا للخلاص ونكتفي بالنظر بأعيننا فقط ومؤخراً أصبحنا لا نبتعد حتى من مدخل الخيمة عدة خطوات قبل أن نقرر العودة والانتقال لبعدٍ آخر

(تركي) باسطاً كفيه وذراعيه جانباً: أين تريدين أن نحفر؟!.. نحن في صحراء شاسعة!

(خلود) : لن يضيرك أن نجرب .. ماذا سنخسر؟

(تركي) راكلاً الرمال تحت أقدامه وبسخط : هذا مضيعة للوقت!

(خلود) بنبرة حزينة مشبعة باليأس : عن أي وقتٍ تتحدث؟ .. نحن في دوامة لا نهائية

(تركي) : وقد اعتدت على فكرة أنني سأبقى فيها للأبد ويجب أن تعتادي عليها أنتِ كذلك!

وجهت (خلود) نظرها وسبابتها لشيء لمع بين أقدام أخيها حيث ركل الرمال وبأعين متسعة قالت : «ما هذا؟»

(تركي) بخليط من الاستغراب والاستنكار : ما بكِ؟ .. عن ماذا تتحدثين؟

نهضت (خلود) من مكانها وجرت بسرعة وانكبت بين أقدامه وبدأت بالحفر بطريقة جنونية وهو يراقبها متعجباً ولم تتوقف حتى رأت شيئاً دفعها لوضع يدها على فمها شاهقة : (سعود)؟!

نزل (تركي) على ركبتيه قائلاً : ماذا؟!

شاهد الاثنان ذراعاً عظمية متحللة لم يظهر منها سوى اليد وتغطت بقيتها بكم ثوب طويل..

(خلود) وهي على وشك الانهيار : إنه (سعود) .. أنا واثقة من ذلك!

(تركي) : وما أدراك أنه هو؟ .. الجثة متحللة بالكامل

(خلود) وهي ترفع الذراع العظمية من طرف الكم بتوتر شديد : لأني أنا من اشتريت له هذا الخاتم

(تركي) مستأنفاً الحفر : هيا لنخرج بقية جسده ..

(خلود) واقفة متراجعة بضع خطوات للوراء : لا أستطيع .. لا أستطيع ..

استمر (تركي) بالحفر وبقيت أخته تراقبه بأعين دامعة وكفها على فمها ..

عندما انتهى أخوها من إخراج الجثة بالكامل من باطن الأرض وقف بجانب أخته يتأملها وقال : كم مضى علينا منذ أن فقدناه؟

(خلود) ودموعها تنساب على وجنتيها : عدة أشهر.. أو ربما سنة .. لم أعد أذكر ..

(تركي) : لكن تحلل جثته يشير إلى أنها تحت التراب منذ عدة سنين طويلة ..

(خلود) ماسحة دموعها مستنشقة : هذا يناقض فكرتك عن الأبعاد.. نحن كنا نعود للمكان نفسه لكن الزمن يتعاقب

(تركي) : السفر عبر الزمن مستحيل

(خلود) بحنق : هل ما زلت تتحدث عن المستحيل بعد كل ما رأيناه؟!

(تركي) مديراً ظهره للجثة متأملاً الأفق الصحراوي الممتد : «هناك تفسير آخر لوجوده هنا ..»

(خلود) بصوت مختنق : ما هو؟

(تركي) معيداً نظره للجثة : هو أن (سعود) وجد طريقة ما للخروج من البعد الذي فقدناه بعد رحيلنا وأخذ ينتقل مثلنا .. بشكل موازٍ لنا ومعنا ..

(خلود) : لكن هذا لا يفسر تقدم الوقت وتحلل جثته

(تركي) : على العكس تماماً فلكل بعد قوانينه الفيزيائية الخاصة ودقيقة في أحد الأبعاد قد تعادل سنوات في بعد آخر .. أنا متيقن من أن هذا ما حدث

أخذت (خلود) بضع خطوات مقتربة من جثة زوجها المتحللة ..

(تركي) : ماذا تفعلين؟

(خلود) رافعة رأس زوجها من على الرمال : انظر ..

(تركي) مقترباً منها أكثر : أنظر إلى ماذا؟

(خلود) مشيرة بسبابتها لقمة الرأس : «شعره أبيض .. (سعود) لم يكن يملك شيباً .. هذا يؤكد فرضيتك بأنه تمكن من الخروج من بعده وعاش بعدها مدة طويلة قبل موته ..»

(تركي) : هذا يعني أننا نتعامل مع عدد لا متناهٍ من الأبعاد ولن نتمكن من العودة لبعدنا إلا بالمصادفة واحتمالية حدوث ذلك تفوق المستحيل

(خلود) وهي تتأمل وجه زوجها المتحلل : لدي حدس ..

وضع (تركي) كفه المبسوط على جبينه لاشتداد حرارة الشمس الساطعة فوق رؤوسهما وقال : حدس ماذا؟

تمد يدها في جيب صدر ثوب زوجها مخرجة مفكرته ..

(تركي) جالساً بجانبها : هل تظنين أن (سعود) ..؟

فتحت (خلود) مفكرة زوجها متنقلة بين صفحاتها جائلة بنظرها بين السطور وهي تقول :

«نعم .. فهو يدون كل شيء في مفكرته ..»

(خلود) وهي مستمرة بالتقليب والتصفح حتى وقعت عينها على صفحة شدت انتباهها وقالت:

«اسمع ماذا كتب هنا ..»

إذا كان أحد منكم يقرأ هذه المفكرة فمعنى ذلك أن رحلتي خلال السنوات الطويلة

بين الأبعاد المجهولة هرباً من تلك الشيطانة المخيفة لم تذهب سدى ..

أعتقد أني تمكنت أخيراً من اكتشاف حقيقة ما حدث لنا

ووجدت طريقة لنخرج جميعاً في الوقت ذاته

بعد ما فهمت كيفية عمل النصب الحجري ..

نحن لا ننتقل بين الأبعاد فقط بل وحتى الأزمان ..

هناك تداخل معقد حدث منذ أن ولجنا أول مرة

والطريقة الوحيدة لحل كل العقد هي بالرجوع للخلف ..

والرجوع لنقطة الصفر وتكرارها .. سوف أشرح بالتفصيل أكثر

قلبت (خلود) الصفحة التالية بحماس لتكمل بقية السطور لكنها لم تجد سوى صفحة بيضاء تلو الأخرى حتى نهاية المفكرة ..

(تركي) بتعجب : كلامه غير واضح ولو كان قد عرف طريق العودة فلمَ لم يعد لبعدنا؟

(خلود) : لقد قال بأن الطريقة ستعيدنا جميعاً في الوقت نفسه .. ربما استلزم الأمر شيئاً نقوم به نحن لنساعده

(تركي) : ولمَ لم يكمل شرحه إذاً وتركنا معلقين وعالقين هكذا؟

(خلود) موجهة نظرها لجثة زوجها المتحللة بحزن :

«أعتقد أنه لم يلحق وهاجمته تلك الشيطانة قبلها ..»

(تركي) : وما العمل الآن؟

(خلود) متفكرة : ماذا كان يعني بالعودة لنقطة الصفر؟

قبل أن يجيب عليها خرجت يد حمراء بمخالب سوداء طويلة من الأرض بجانبها وقبضت على عنقها وسحبتها تحت الرمال بسرعة خاطفة تاركة أخاها يصرخ مفجوعاً محاولاً الحفر بجنون لإخراجها لكن دون فائدة. بعد ما فقد (تركي) الأمل بإنقاذها نهض من مكانه وهم بالعودة للخيمة لكن وقبل أن يخطو خطوة واحدة خرجت الشيطانة الحمراء وانقضت عليه وركبت على ظهره غارسة أنيابها في عنقه مما دفعه للجري مفزوعاً متألماً وهو يحاول نزعها من على أكتافه لكن تشبثها القوي به منعه من ذلك خاصة بعد أن أدخلت مخالبها العشرة في وجهه ومزقت ملامحه وفقأت عينيه.

لم يتوقف (تركي) عن الجري حتى تعثرت قدمه في الحفرة التي حفرتها (خلود) لإخراج النصب الحجري وسقط بوجهه الدامي على سطحه الصلب مما أدى إلى كسر أنفه وما أن سال دمه على النقوش وجرى فيها حتى أطلقت الشيطانة صرخة قوية وقفزت من فوقه هاربة..لم

يتمكن (تركي) من إدراك ما يحدث حوله بعد فقدانه لبصره وشعوره بغثيان شديد بسبب الألم ورائحة دمائه التي فاحت حوله فأسند رأسه للنصب وفقد الوعي.

فتح عينيه ..

الشمس تتوسط السماء ..

وجد نفسه مستلقياً عند النصب الحجري ..

ينهض برأس ثقيل متحسساً إصابات وجهه التي اختفت ..

يلفت نظره أجساد عائلته موزعين حوله فاقدين للوعي ..

زحف (تركي) المرهق حتى وصل لزوجته (هدى) وبدأ يهز كتفها محاولاً إيقاظها ..

(هدى) فاتحة عينيها ببطء : (تركي)؟ .. أنت بخير؟

(تركي) باسماً ودموعه تبدأ بالانهمار : نعم .. جميعنا بخير ..

صوت (حسام) الذي أفاق للتو : جسدي يؤلمني ..

(خلود) معانقة زوجها بعد ما أفاقا معاً : كنت أظن أني فقدتك!

(سعود) يشد على عناق زوجته ونظره على سيارتيهم ومخيمهم الذي عاد كما كان :

«لقد انتهى كل شيء ..»

أمضى الجميع الساعة التي تلت استيقاظهم في ترتيب وجمع حاجياتهم وتحميلها وقبل أن يتحركوا لاحظ (حسام) أن سيارته لا تعمل ففتح غطاء المحرك محاولاً اكتشاف مصدر الخلل لإصلاحه لكن (تركي) قال له : «اتركها هنا واركب معنا ..»

(حسام) : أعتقد أنها مشكلة بسيطة في البطارية فقط يا أبي ولو قمنا بشحنها من سيارتك فسو..

(تركي) مقاطعاً : لن نبقى هنا ثانية واحدة أخرى لأي سبب .. هيا اركب معنا ولنرحل في الحال

ركب (حسام) في الخلف بجانب أمه وعمته وما أن أغلق بابه حتى داس (تركي) على دواسة الوقود بقوة منطلقاً بسرعة من المكان. بعد ساعة من السير السريع على الرمال قضاها الجميع في صمت وسرحان في التضاريس الصحراوية هدأ (تركي) من سرعة انطلاقه وقال لـ (سعود) وهو قابض على المقود ونظره للأفق :

«هل ستخبرنا الآن ما حدث لك وكيف اكتشفت سر النصب الحجري؟»

(سعود) زافراً : قصة طويلة ..

(تركي) : وطريقنا أطول

(سعود) : لن أخوض فيما واجهته في تلك الأبعاد وكابوس مطاردة تلك الشيطانة لي في كل لحظة وكل خطوة لسنواتٍ طويلة عشتها في رعب وجزع

(خلود) : لا داعي لذلك فقد طاردتنا جميعاً .. لكن نريد أن نعرف كيف وجدت سر العودة؟

(سعود) : أعتقد بعد خمس أو ست سنوات .. لا أذكر .. التقيت بمحض المصادفة بمسافرٍ آخر

(تركي) : مسافر؟

(سعود) : نعم .. هذا ما كان يطلق على من يستخدمون النصب الحجري .. مسافرون .. النصب كان بوابة للولوج في عوالم موازية لعالمنا وتفتح هذه البوابة بإراقة الدم على سطح الحجر المنقوش ويبدو أن هناك قوانين صارمة يتلقاها أي شخص يرغب في استخدام النصب ويجب أن يكون ملماً بطريقة العودة لبعده الخاص بعد ما ينتهي

(خلود) : ينتهي من ماذا؟

(سعود) : من استكشاف الأبعاد على ما أظن .. لم أحصل على تفاصيل أكثر في هذا الخصوص

(هدى) : وهل أخبرك هذا المسافر بتلك القوانين التي ذكرتها؟

(سعود) : لم يخبرني بالكثير لأنه فيما يبدو افترض أني أعرف معظمها مسبقاً ولحسن حظي أنه أجاد العربية بالرغم من لهجته الصعبة إلا أني تمكنت من فهم معنى مجمل حديثه معي بعد ما وضحت له بشق الأنفس أني مسافر مثله وأريد العودة

(حسام) : وماذا كانت الطريقة؟

(سعود) : أن يريق المسافر الأصلي الذي قدم القربان قطرات بسيطة من دمه على النصب بشق أصبعه مثلاً وكوني لم أكن من نحر الخروف حرصت على تدوين الطريقة على أمل أن يكون (تركي) قد نجا ليجدها ويكسر دوامة رحلتنا ويعود بنا جميعاً لنقطة البداية فهو الوحيد القادر على ذلك لأنه هو من فتح الشق بين الأبعاد وهو من يجب عليه إغلاقه .. وحذرني كذلك من حارسة الأبعاد التي تطارد المسافرين وتقتلهم لإعادة التوازن الذي يختل بسبب حركتهم بينها لكن تحذيره كان متأخراً فقد عانيت منها لسنوات طويلة دون أن أفهم سبب مطاردتها لي

(تركي) : ولمَ لم تكتب كل هذا في المدونة؟ .. أنت لم تكمل الشرح فيها؟

(سعود) : حذري طيلة كل تلك السنوات تخليت عنه لدقائق معدودة من شدة حماسي لتدوين مفتاح نجاتنا ودفعت الثمن حياتي .. بعد رحيل ذلك المسافر أخرجت مدونتي في الحال لأكتب المعلومات التي حصلت عليها منه قبل أن أنساها لكن تلك الحارسة كانت لي بالمرصاد وهجمت عليّ وباغتتني من الخلف وافترستني ولم ألحق أن أدون إلا تلك السطور البسيطة لكن الحمد لله أنها كانت كافية لتفهم الطريقة وتنقذنا من جحيمنا

(خلود) باسمة موجهة حديثها لـ (تركي) : كانت واضحة تماماً أليس كذلك يا أخي؟

(تركي) ناظراً لأخته في المقعد الخلفي من خلال مرآته : بلى .. واضحة كالشمس ..

(هدى) متنفسة الصعداء عند رؤية الطريق المعبد في الأفق : الحمد لله .. عدنا أخيراً

(سعود) : هذه آخر مرة نبتعد فيها عن الحضارة لقد اكتفيت من التاريخ ومصائبه

(تركي) ضاحكاً : لو فكرنا بالأمر من زاوية أخرى فقد كانت رحلة مشوقة!

(خلود) بخليط من التجهم والممازحة : لا تفكر حتى بمحاولة تبرير تلك الرحلة المريرة!

(تركي) باسماً : حسناً لن أفعل ..

خرجت السيارة من الطريق الرملي وسارت على الطريق الإسفلتي المعبد وانطلق الجميع مكملين خط سيرهم نحو ديارهم ..

بعد أقل من عشر دقائق من السير على الطريق قال (سعود) بنبرة متعجبة : «غريبة ..»

(تركي) : ما بك؟

(سعود) معتدلاً في جلسته ممعناً النظر في الطريق أمامه : هناك شيء مختلف ..

(خلود) بقلق : ماذا تعني بـ «مختلف» ؟ .. لا تثر مخاوفنا يا (سعود) أرجوك وتحدث!

(سعود) مشيراً للشارع أمامهم :

«الطريق لم يكن سلساً هكذا .. أذكر جيداً أنه كان ممتلئاً بالشقوق والحفر ..»

(هدى) : لعلنا خرجنا من طريق مختلف .. لا تتوهم يا أخي

(سعود) : ربما يكون معكِ حق لكني واثق من أن الشارع الذي سلكناه عندما قدمنا إلى هنا وبعد تجاوزنا نقطة التفتيش كان سيئاً حتى خرجنا إلى الطريق الترابي .. ألا تذكر ذلك يا (تركي)؟ .. أنت من كان يقود السيارة ولا بد من أنك تتفق معي

(تركي) دون اكتراث أو تفاعل مع ملاحظة (سعود) :

«أنت متوهم كما قالت (هدى) .. عندما نصل للنقطة وترى رجال الأمن سوف تطمئن ..»

بعد ساعتين ظهرت نقطة التفتيش التي عبروا منها عند قدومهم للمنطقة أول مرة وبعد توقفهم طلب منهم رجل الأمن الذي استوقفهم تصاريح الدخول للتثبت من أنهم ليسوا من المتسللين للمنطقة فمد (تركي) يده وفتح درج السيارة ووجد التصاريح مكانها حيث تركها فأخرجها ومدها للشرطي الذي تصفحها لثوانٍ ثم قال بعد أن عقد حاجبيه : «ما هذا؟»

(تركي) بتوتر : تصاريح الدخول للمنطقة

(رجل الأمن) : أعرف لكن التصريح كان لعشرة أيام فقط وقد تجاوزتم المدة المسموح بها

(سعود) بقلق : تجاوزناها بمقدار كم؟

(رجل الأمن) : بيومين .. كان من المفترض أن تعودوا قبلها .. ثم إن التصريح لسيارتين .. أين السيارة الأخرى؟

(تركي) زافراً بارتياح : نعتذر عن ذلك .. لقد واجهنا بعض المشكلات الميكانيكية وهذا سبب تأخرنا وسيارتنا الأخرى لا تزال مكانها وننوي الرجوع إليها لاحقاً لاستعادتها

مد رجل الأمن التصاريح لـ (تركي) وقال له باسماً : حسناً لا بأس .. رافقتكم السلامة

(تركي) آخذاً الأوراق : شكراً .. شكراً

تحركت السيارة وبعد ابتعادها عن نقطة التفتيش لمسافة بسيطة قال (تركي) لـ (سعود) ضاحكاً : هل اطمأننت الآن؟!

(سعود) باسماً : نعم .. الحمد لله

(خلود) تطل برأسها من بين المقاعد الأمامية وتشاركهما الضحك قائلة :

«رجل الأمن هذا أرعبني أكثر من حارسة الأبعاد!»

ضحك الجميع في السيارة عدا (حسام) الذي قال بنبرة متوترة من

مقعده خلف السائق :

«هل رأيتم ما رأيت؟»

(تركي) ناظراً لابنه من المرآة : لا لم نرَ شيئاً

(خلود) ملتفتة نحوه : عن ماذا تتحدث؟

(هدى) واضعة كفها على كتف ابنها : ماذا رأيت يا بني؟

(حسام) والعرق يتصبب من جبينه محدقاً بأعين أبيه في المرآة أمامه :

«رجل الأمن الذي استوقفنا ..»

(خلود) : ما به؟

(حسام) موجهاً نظره لخالته وبصوتٍ مشبعٍ بالخوف والجزع :

«كان .. كان يملك ذيلاً أحمرَ برأسٍ أصفر ..»

